الفصل الثالث
البـــــرك

تعتبر برك القاهرة من أعظم متنزهات مصر طوال تاريخها الإسلامى حتى منتصف القرن الماضى ، وقد تمتعت بأهمية كبيرة فى العصرين المملوكى والعثمانى على وجه الخصوص .

والبرك فى اللغة لها نفس مدلولها الحالى فهى «مستنقع الماء وهى شبه حوض يحفر فى الأرض ، وقد سميت بذلك لإقامة الماء بها» . (١)

ومن البرك ما هى طبيعيـة مثل بركة الرطلى وبركة الفيل حيث كان منسـوب أرضها منخفضاً عن منسوب باقى أراضى القاهرة فـتمد بالماء زمن الفيضان فتصير بركاً ، ومنها مـا هى صناعية مثل بركة بطن البقـرة (الازبكية) التى استنـبطها الخليفة الفـاطمى الظاهر وبركة النـاصرية التى استنبـطها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، كمـا أمتدت الأيدى البشرية للبرك الطبيعية فى العـصر المملوكى بالاعتناء بها والاهتمام بحفرها وبناء الجسور عليها وغير ذلك ، وقد ترتب على ذلك أزدياد العمران حولها لذا فقد نمت القاهرة حينئذ نمواً عظيماً ، وظلت بالكاد على مساحتها فى العصر العثمانى .

وكان مجتمع أحياء القاهرة مجتمعاً متميزاً ، تمـيز سكانه بمكانتهم الرفيعة فى المجتمع إلا أن البرك كانت موضع تنزه القاهريـين جميعاً باختلاف طبقاتهم وأجناسهم وعقائدهـم ، وكانت موضعًا متميزاً لاحتفالاتهم ومواسمهم .

وكانت لـبرك القاهرة أهـمية اقتصـادية كذلك ، فقد كـانت عبارة عن أراضـى زراعية منخـفضة المستوى تملأ بماء النيل وقت الفيضان ، وبعد ذلـك تزرع بمحاصيل شتوية ، وكانت تلك الأراضى من أخصب الأراضى ولا تحتاج لمجهود كبير لحرثها وزرعها ، بالاضافة للنشاط التجارى والسياحى الكبير الذى تكون عليه زمن الفيضان .

وكانت البرك تجرى فى أوقـاف السلاطين والأمراء وغيرهم من ذوى المكانة الرفـيعة فى المجتمع ، مثل بركة الفيل التى كانت ضمن أوقاف الظاهر بيبرس ، وكذلك كانت بركة الحبش وقفاً على السادة الأشراف أبناء الحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

---

(١) انظر مادة بركة فى : لسان العرب لابن منظور ، مختار الصالح للرازى ، والمخصص لابن سيده .

وقد أمكننى حصر عشرين بركة بالقاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى ، ذكر «المقريزى» اربع عشرة بركة فقط ، وعملت دراسة طبوغرافية لهم ، وكذلك تتبعت تاريخها وتطورها ودورها فى عمران القاهرة . وهذه البرك مرتبة من الجنوب إلى الشمال كالتالى :

بركة الحبش

تعتبر بركة الحبش أقدم بركة بالقاهرة ذكراً بالتاريخ ، وظلت على مدى التاريخ الإسلامى من أهم متنزهات مصر .

أسماءها :

عرفت هذه البركة بعدة أسماء ففى صدر الإسلام عرفت ببركة المعافر ، كما عرفت أيضاً ببركة حمير نسبة لقبيلتين عربيتين نزلتا حولها زمن الفتح الإسلامى لمصر . [١] ، كما عرفت أيضاً باصطبل قرة [٢] نسبة إلى قرة بن شريك العبسى الذى ولى مصر من سنة ٩٠ هـ إلى سنة ٩٦ هـ الذى أهتم بها وغرسها قصباً ، كما عرفت أيضاً باصطبل القامش أى القصب الذى كان يزرع بها . [٣]

أما عن اسم بركة الحبش فهناك رأى ينسبها إلى الجنان الواقعة قبلى البركة وهى منسوبة إلى قتادة بن قيس بن حبشى الصدفى الذى شهد فتح مصر ، والجنان تعرف بالحبش وبه تعرف بركة الحبش [٤]. أما الرأى الآخر فيذكر أن البركة عرفت بالحبش لأنها من ضمن أملاك طائفة من الرهبان الحبش، وقد حدث أن صادر أحمد بن طولون البطريق ميخائيل بطرك اليعاقبة على عشرين ألف دينار لذلك باع النصارى بعض أملاكهم ومنها أرض الحبش بظاهر مصر ، وكذلك الكنيسة المجاورة للمعلقة بقصر الشمع بمصر التى باعوها لليهود . [٥]

كما عرفت البركة فى العصر الفاطمى وما يليه بأسم بركة الاشراف نسبة إلى الأشراف من نسل على بن أبى طالب الذين جرت البركة فى أوقافهم . [٦]

---

(١) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٥٥ ، المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ .

(٢) نفس المصدرين والصفحتين .

(٣) نفسهما .

(٤) نفسهما .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ . ، أبو صالح الأرمنى ، كنائس وأديرة مصر ، ص ٥٤ - ٥٥ . وهذه الكنيسة المذكورة أعلاه هى المعروفة الآن بالمعبد اليهودى المجاور لكنيسة الست بربارة بحصن بابليون .

(٦) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ . ، ابن دقماق ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٥٥ .

موقعها وحدودها ومساحتها :

ذكر «المقريزى» أن «بركة الحبش تقع ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين الجبل والنيل»[١] . كما ذكر أيضاً عن ابن يونس فى تاريخه «. . . أن قبلى بركة الحبش جنان تعرف بقتادة بن قيس بن حبش الصدفى وأن الحد البحرى ينتهى إلى البئر الطولونية وإلى البئر المعروفة بموسى بن أبن خليد ، وهذه البئر هى المعروفة بالنعش» [٢] ، كما ذكر أيضاً نقلاً عن ابن المتوج «. . . أن البركة وقف الاشراف الطالبيين وهذه البركة حدودها أربعة ، الحد القبلى ينتهى بعضه إلى أرض العدوية يفصل بينهما جسر هناك وباقية إلى غيطان الوزير والحد البحرى ينتهى بعضه إلى أبنيه الآدر التى هناك المطلة عليها وإلى الطريق وإلى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الشعيبية ، والحد الشرقى إلى حد بساتين الوزير المذكورة ، والحد الغربى ينتهى بعضه إلى بحر النيل وإلى أراضى دير الطين وإلى بعض حقوق جزيرة ابن الصابونى وجسر بستان المعشوق الذى هو من حقوق الجزيرة المذكورة» . [٣]

بتحليل تلك النصوص يتبين من النص الأول أن بركة الحبش كانت تقع جنوبى مدينة الفسطاط فيما بين الجبل والنيل ، وهذا الجبل المقصود به جبل المقطم الذى كان يحيط بالبركة من الجهتين الشرقية والشمالية ، فأما الجهة الشرقية فعلى شكل هضبة أقيم على بعضها قرية البساتين القديمة ، وأما الجهة الشمالية فتمثل هضبة اسطبل عنتر حالياً وكان الجزء الغربى منها يمثل هيئة جبل كان يسمى قديماً الرصد .

ومن تحليل النص الثانى نجد أن الحد القبلى أى الجنوبى للبركة كانت حدائق وبساتين ، وأن الحد البحرى (الشمالى الشرقى) ينتهى إلى البئر الطولونية ، وإلى بئر النعش ومن حسن الحظ أن البئر الطولونية لا تزال موجودة حتى الآن بحى البساتين جنوب القاهرة وتسمى الآن بير أم سلطان ، وهى تمثل مأخذ مياه للقناطر التى أنشأها أحمد بن طولون والتى لا يزال الجزء الجنوبى منها باقياً بالبساتين الآن . أما البئر المعروفة بالنعش فقد ذكر «على باشا مبارك» أنها كانت موجودة أيامه فى حوض عفصه من أراضى البساتين [٤] ، وهذا الحد البحرى يمثل من الجهات الأصلية الجهة الشمالية الشرقية.

ومن تحليل النص الثالث يتبين أن الحد القبلى أى الجنوبى للبركة ينتهى بعضه إلى أرض العدوية أى أرض المعادى حالياً [٥] ، والبعض الآخر ينتهى إلى أراضى وغيطان تابعة

---

(١) الخطط ، جـ ٢ ص ١٥٢ . (٢) نفسه ، ابن دقماق ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٥٥ .

(٣) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ . (٤) الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٣٧٢ .

* وهذه البئر كانت تقع غربى البئر الطولونية ، وقد وضع عليها ساقية لرى أراضى البساتين وقد رأيتها وقد تحولت الأراضى الزراعية لمبانى سكنية الآن .

(٥) المعادى : كانت قرية قديمة تعرف باسم منية السودان كانت بين بركة الحبش وطرا ، وبها دير على النيل يسمى دير العدوية ، نسبة إلى سيده مغربية تسمى العدوية فسميت الناحية حينئذ بناحية العدوية. ولا يزال هذا الدير مجدداً فى موقعه حتى الآن على كورنيش النيل بالمعادى ويسمى الآن كنيسة العذراء . انظر : ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٥ ، ص ٤٣ . ، محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، جـ ٣ ، ص ١٧ . ، سعاد ماهر ، القاهرة القديمة واحيائها (سلسلة المكتبة الثقافية ، رقم ٧٠) ص ١٢٢ - ١٢٤ .

للبساتين [١] ، والحد البحرى أى الشمالى ينتهى بعضه إلى بيوت كانت هناك والبعض الآخر إلى بركة الشعيبية التى كانت تقع شمال بركة الحبش ، والحد الشرقى كانت به بساتين الوزير ، والحد الغربى ينتهى بعضه إلى نهر النيل والبعض الآخر إلى أراضى دير الطين [٢] ، أى دار السلام حالياً وإلى بعض حقوق جزيرة الصابونى [٣] وجسر بستان المعشوق ويمثله الآن الطريق الزراعى بين أثر النبى والمعادى .

- ونخلص مما سبق أن موقع بركة الحبش حتى منتصف هذا القرن كان يمثله أراضى زراعية كانت تقع فى زمام قرية دير الطن (حى دار السلام حالياً) ، وزمام قرية البساتين (حى البساتين حالياً) ، وكانت تقدر بألفين ومائتى فدان منها مائتين وثلاثة عشر فداناً كانت تتبع قرية دير الطين ، والباقى فى زمام البساتين ، وكانت هذه المنطقة تحد من الجنوب بأراضى ناحية البساتين ومن الشرق قرية البساتين ومن الشمال جبانة مصر التى كانت تسمى بالقرافة الكبرى ، وجبل الرصد وتعرف حالياً باسطبل عنتر وأرض قرية أثر النبى فى الحد الفاصل بينها وبين دير الطين (دار السلام) ومن الغرب كان يحدها جسر النيل الواصل بين دير الطين (دار السلام) وبين المعادى ويمثله اليوم الطريق الزراعى . [٤] (شكل ٢٣) .

وقد قدر «ياقوت الحموى» طول بركة الحبش بنحو ميل [٥] ، بينما ذكر «ابن دقماق» أن البعض

---

(١) البساتين : كانت قرية قديمة تعرف ببساتين الوزير ، وقد نسبت إلى عدة وزراء ، فقد ذكر «ابن دقماق» (أنها تنسب إلى الوزير ابى الفرج يعقوب بن كلس وزير الخليفة الفاطمى العزيز ، ويقال أنها منسوبة إلى الوزير محمد بن على المادرائى وقيل أنها منسوبة إلى الوزير أبى الفضل ابن الفرات المعروف بابن خنزابه وزير كافور ، وهى سبعة بساتين). أنظر : الانتصار ، جـ ٤ ص ٥٧ .

وقد ذكر «المقريزى» «أنها تنسب إلى الوزير ابى الفرج محمد بن جعفر المغربى وزير المستنصر الذى مات سنة ٤٧٨هـ وأنها تقع قبلى بركة الحبش ، وفيها مساكن وبساتين كثيرة وبها جامع تقام فيه الجمعة» .

الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ .

وأقول أن القرية القديمة لا تزال واقعة على تل مرتفع يتوسط الآن حى البساتين جنوبى القاهرة .

(٢) دير الطين : من القرى القديمة على شاطىء النيل وكانت تقع غربى بركة الحبش ، ودير الطين نفسه كان لرهبان الحبش الذى تنسب إليهم بركة الحبش ، وقد ذكر محمد رمزى «أن الاراضى الزراعية التابعة لها كانت مقدرة فى دفاتر المكلفات والأموال باسم بركة الحبش التى كانت من الضواحى القديمة من عهد الفتح العربى . انظر : القاموس الجغرافى فى جـ ٢ ق٣ ص١٤ وقد عرفت دير الطين منذ حوالى منتصف هذا القرن باسم دار السلام وتحولت أراضيها إلى مبانى .

(٣) عن جزيرة الصابونى ، أنظر ما سبق ، ص ٦٥ .

(٤) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق١ ، ص ١٥٠ . وأقول أن هذه الأراضى التى حددها محمد رمزى قد بنيت الآن عن آخرها بطريقة عشوائية .

(٥) معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٥٩١ . يقدر الميل بـ ١٨٤٨ متر حالياً . أنظر : محمد كمال السيد ، أسماء ومسميات ، ص ٣٧ ، حاشية ١ .

قدر مساحتها بألف فدان [1] ، ويرجع الاختلاف فى مساحتها لتذبذب مستوى الماء فيها من وقت لآخر تبعاً لحالة الفيضان .

تاريخ البركة وايقافها :

أما عن تاريخ البركة فنقول أن أول من أهتم بها هو الأمير قرة بن شريك العبسى الذى غرس بها قصباً ، ثم دخلت فى ملك أبى بكر المادرائى [2] الذى كان وزيراً للطولونيين الذى ربما اشتراها من الرهبان الحبش ، وقد قام بوقفها فى سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م على بعض المنشآت المائية هى بئرين وقنطرتين وسرب ماء وقناطر ومجارى مائية قام بأنشائها سنة ٣٠٣ هـ أو ٣٠٤ هـ بالقرافة لخدمة القبائل القاطنة بها بالإضافة إلى بعض الأمور الخيرية الأخرى مثل المصرف على فقراء سكان القرافة من المعافر وغيرهم . [3]

ثم استولى عليها الوزير الفاطمى الصالح طلائع بن رزيك (٥٤٩ هـ - ٥٥٦ هـ / ١١٥٤ - ١١٦١) وأوقفها على السادة الأشراف الحسينيين أحفاد الحسين بن على كرم الله وجهه . [4]

وفى زمن الدولة الأيوبية شاركهم فيها أقاربهم الطالبيين ، وفى زمن الدولة المملوكية ثبت الوقف عليهم عدة مرات [5] ، ثم استولى عليها النشو ناظر الخاص للسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وعوض الأشراف عنها مالاً من بيت المال يصرف لهم سنوياً ، فلما مات الناصر محمد وتسلطن بعده ولده الملك المنصور أبو بكر فى ٢١ ذى الحجة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م بادر باعادة البركة إلى الأشراف وظلت وفقاً عليهم بعد ذلك [6] ، وقد أراد السلطان الغورى أن يخرجها من أوقافهم [7] إلا أن

---

(١) الانتصار ، جـ ٥ ص ٥٦ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن على المادرائى ، ولد بنصيبين سنة ٢٥٨ هـ ، وقدم إلى مصر سنة ٢٧٢ هـ ، وفى السنة التالية خلف أباه فى نظره أمور خمارويه بن أحمد بن طولون ، ثم استوزره هارون بن خمارويه (٢٨٣ هـ - ٢٩٢ هـ) إلى أن قدم محمد بن سليمان الكاتب من بغداد وأزال الدولة الطولونية سنة ٢٩٢ هـ وحمل رجالهم إلى العراق فكان منهم أبو بكر المادرائى ، ثم عاد مرة أخرى إلى مصر ودبر امرها وأمر ونهى ، وقد كان واسع الثراء محباً لأمور الخير وقد بنى العديد من المبانى الدينية والخيرية ، وقد صودر عدة مرات وكان قد حج ٢٧ حجة ، وقد توفى فى شوال سنة ٣٤٥ هـ . أنظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٣) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٥٥ - ٥٦ ، المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٢ .

(٤) نفس المصدرين والصفحتين .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ . ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص ٣٩٠ .

(٦) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٥٥ . ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٥٥٢ . ، بن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٠ ، ص ٤ .

(٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٤ ، ص ٢٦ .

ذلك لم يتم حسبما يتضح لنا من أحدى الوثائق العثمانية التى تبين استمرار وقف البركة على الأشراف [١].

وكانت البركة فى العصرين المملوكى والعثمانى تعتبر من أعمال مصر من جانبها القبلى [٢] أى تتبع فسطاط مصر من الناحية الادارية .

تغذية البركة بالماء والزراعة بها :

كانت بركة الحبش تغذى بالماء عن طريق خليج بنى وائل [٣] الذى يخرج من النيل جنوبى مصر القديمة مما يلى باب مصر الذى كان يعرف أيام المقريزى بباب القنطرة [٤] من أجل قنطرة بنيت هناك. (شكل ٢٣) .

وكانت الأرض وقت أن يغمرها النيل تشبه البرك ولهذا سميت بركة كما ذكر ياقوت

---

(١) ورد فى الوثيقة المحفوظة بالباب العالى سجل ٦٣ ص ٣١١ و ١٣٣٤ F والمؤرخة بسنة ١٠٠٣ هـ «وقف أراضى بركة الحبش وفدان الشعبيية وغيط التجار بجوار البركة المذكورة وربعه قليوب والتربيعة الكاينة بسوق أمير الجيوش والحانوت خارج السوق وهى من أوقاف ابو بكر المردانى على السادة الأشراف وجميع الطين الكاين بأراضى بلقس وكفورها الزاوية وكوم البحرى وهى من أوقاف السلطان طلائع بن رزيك الفايزى على السادة الأشراف وكانت تؤجر منه السنة ٣٥٠٠٠ نصف» .

(٢) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٥٥ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٥ .

* ذكر سامى نوار فى رسالته المنشآت المائية ص ١٧٥ ما نصه «أن خليج بنى وائل يمد بركة الشعبيه بالماء من حدها الشمالى وكانت البركة تقع شمال بركة الحبش فعلى هذا لا يمكن أن يمد بركة الحبش بالماء لأنه يصب ببركة الشعبية ويؤكد ذلك أن بركة الحبش كانت تصل لنهر النيل مباشرة بحدها الغربى ويفسر ذلك تحرك نهر النيل غرباً مع ردم بركة الشعبية بحيث أصبح من الأسهل توصيل خليج بنى وائل بخليج الأشراف الخارج من بركة الحبش وبذلك أصبح خليج بنى وائل يخرج من نهر النيل ليصب فى بركة الحبش» .

* وهذا الرأى مناقض للواقع الذى يقول أن خليج بنى وائل هو نفسه خليج الأشراف ، كما أن بركة الحبش كانت تشرف على النيل بجزء من أراضيها ويفصلها عنه فى أغلب حدها قرية دير الطين والأراضى الزراعية التابعة لها مما يجعلها تحتاج إلى خليج بنى وائل ليغذيها بالماء ، كما أنه ليس من المعقول أن يصب خليج بنى وائل فى بركة الشعبية المحدودة المساحة (٥٤ فداناً فقط) فلو كان هذا لغرقت المنطقة كلها وإنما حفر الخليج ليغذى بركة الحبش ذات المساحة الكبيرة (أكثر من ١٠٠٠ فدان) .

(٤) باب القنطرة كان يقع بسور مصر (الفسطاط) الذى بناه قراقوش وزير الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى ، وكان واقعاً بالقرب من النيل ، وقد عرف بهذا الاسم نسبة للقنطرة التى تقع على يمينه والتى أقيمت على خليج بنى وائل والتى يرجع بناءها إلى زمن الخليفة الفاطمى العزيز بالله ، ويرى المرحوم «محمد رمزى» أنه كان واقعاً فى مدخل شارع الصغير عند تلاقيه بشارع أثر النبى فى الجهة الجنوبية من مصر القديمة . أنظر : المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص ٣٤٧، جـ٢ ، ص ١٦١ .، محمد رمزى ، الجغرافيا التاريخية لمدينة القاهرة (عواصم مصر الاسلامية) ، مقالة بمجلة العلوم ، المجلد الخامس ، السنة التاسعة ، عدد نوفمبر / ديسمبر ١٩٤٢ ، ص ٦٥٨ .

الحمـوى [1]، وبعد أن ينتهى فيضان النيل ويصرف المـاءعنها تنكشف أراضيها ولا تحتاج إلى الحرث المينها بل تلاق لوقاً وتزرع أصنافاً شتوية أسوة بأرض الملق أى الأرض اللينة ، وقد كانت تزرع بالكتان والبرسيم والقصب وأصناف الورود وكانت تحف بها أشجار النخيل والرطب والأعناب وأشجار الجميز والأشجار الأخرى ، وكانت تزدهى بالحسن والنضارة . [2]

العمائر حول بركة الحبش :

بنيت حول بركة الحبش الدور والقصور والمناظـر والجواسق والجوامع والأديرة والكنائس منذ الفتح العربى لمـصر ، وكان العمران على أحسن ما يكون فى العصـر الفاطمى وقد عاش المسـلمون وأهل الذمة فى وحدة واحدة فى الأحياء حول البركة حينئذ [3] . واستمرت البركة عامرة بعد ذلك فى زمن الدولة الأيوبية .

وفى بداية العصر المملـوكى وقع الاهتمام بعض الشىء باقامة منشآت دينـية مثل الجوامع والأربطة على حدود البركة ، ومن أمثلة ذلك قيام الوزير الصاحب تاج الدين بن حنا [4] ببناء جامع سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م على حافـة البركة فى شـاطئـها الغربى بناحيـة دير الطين وقد جعل له خـطبة وأوقف عليـهـا أوقافاً [5] وذلـك عـند تعميـره بسـتان المعشـوق [6] بجـواره واقامـة المنـاظـر هـناك ، وفى هذا الجامع يقول الشاعر السراج الوراق :

بنيتـم على تقـوى من الله مسجداً ... وخـير مبانى العابـدين المسـاجد

فقـل فـى طـراز معلـم فوق بركة ... على حسنها الزاهى لها البحر حاسد[7]

كما سبق للصاحب تـاج الديـن أن انشأ أيضـاً رباطاً على بركة الحبش سنة ٦٦٨ هـ١٢٦٩/ م [8] .

(١) معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٥٩٢ .

(٢) ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة ، ص ٦٨ ، محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ١٤ ، جـ٦ ، ٢٨١ - ٢٨٣ .

(٣) عن العمران حـول بركة الحبش فى العصر الفـاطمى ، انظر : محمود الحسـينى ، التطور العمرانى لـعواصم مصر الاسلامية - الفسـطـاط ، العسكر ، القطائع - حتى نهـاية العصر الفاطمى ، دكتوراه مخـطوطة ، (كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٧) ص ١٦٨ - ١٧٧ .

(٤) هو الوزير الصاحب تـاج الدين محمد بن الصاحب فخر الـدين بن الوزير الصاحب بهاء الدين عـلى بن سليم بن حنا، من أسرة عريقة تولت أرفع المناصب فخر الدين بن الـوزير الصاحب بهاء الدين على بن سليم بن حنا ، من أسرة عريقة تولت أرفع المناصب فى الدولة المملوكـية وكانوا أهل علم ودين وأدب ، وقد ولد الصاحب تاج الدين سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢ م وتوفى سنة ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م ودفن بالقرافة بمـصر ، وهو الذى بنـى رباط الآثار . انظر: المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٤٢٩ .

(٥) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٤ ، ص ٧٨ . ، المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٢٩٩ .

(٦) عن بستان المعشوق ، انظر ص من هذا البحث .

(٧) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ . (٨) نفسه ، ص ٤٢٧ . =

كما أقيم حول البركة فى العصر المملوكى بعض المنشآت التى أرتبطت بالتنزه فقد بنى الملك الناصر محمد بن قلاوون مسطبة لإطعام الطير بغرض الصيد هناك ، كما بنى ابنه أنوك منظرة وحوشاً لتربية الطيور كان يقضى اغلب أوقاته بها مع مغنيه قد شغف بها حباً [١] .

ويبدو أن العمران حول البركة بغرض السكنى قد توقف بعد فترة الازدهار الكبيرة التى عمت البلاد كلها زمن الناصر محمد بن قلاوون ، وخصوصاً أن مصر تعرضت لمحن وشدائد عظيمة منذ مطلع القرن التاسع فهجرت الإقامة حول البركة ، وهناك سبب آخر هو وقوع الاهتمام بعمارة القاهرة نفسها وبعد بركة الحبش عنها لذا فقد ظلت البركة موضع تنزه فقط بقية العصر المملوكى وفى العصر العثمانى .

بركة الشعيبية

تسميتها :

سميت بركة الشعيبية بهذا الاسم نسبة إلى بنى الشعيبية الذين بنو حولها فى زمن الدولة الايوبية والدولة المملوكية . [٢]

موقعها :

تلى هذه البركة بركة الحبش فى موقعها من الجنوب الشمال فهى تقع شمال بركة الحبش فيما بين الهضبة المسماة الرصد (اسطبل عنتر حالياً) وبين جسر الأفرم [٣](الطريق الزراعى أمام أثر النبى حالياً) .

وكان ماء النيل يأتيها من خليجين احدهما يقع قبليها (جنوبها) كان بجوار منظرة الصاحب تاج بن حنا المعروفة بمنظره المعشوق [٤] والخليج الآخر هو خليج بنى و ائل [٥] من شمالها والذى يغذى بركة الحبش .

= يرجع بناء الاربطة على البركة لانها امتداد للقرافة الكبرى التى كانت متنزهاً كبيراً فى العصر المملوكى ، وعن هذا الموضوع أنظر :محمد حمزة ، قرافة القاهرة فى عصر سلاطين المماليك ، ماجستير مخطوط ، (كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦) (١) المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ، ص ٤٩٢ .

(٢) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٤ ، ص٥٥ ، المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٩

(٣) ابن دقمان ، الانتصار ، جـ٤ ، ص٥٥ ، المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٨ وجسر الافرم كان بظاهر مصر فيما بين المدرسة المعزية برحبة الحناء (محلها الآن جامع عابدى بك على كورنيش النيل بمصر القديمة) وبين رباط الآثار . المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٥, والأفرم هو الأمير عز الدين ايبك بن عبدالله الصالحى المعروف بالأفرم الكبير ، كان من كبار امراء دولة المماليك البحرية ، ومن أعماله جسر الافرم هذا ، كما بنى جامعاً ورباطاً على سفح هضبة الرصد (اسطبل عنتر حالياً) مطلين على بركة الحبش ، بناهما سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م إلى جانب اعماله على بركة الشعيبية . وقد توفى سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م . وعنه بالتفصيل انظر : ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص١٣٠ ـ ١٣٢

(٤) المعشوق هو بستان كبير كان مزروعا بالأشجار جنوبى الفسطاط من جملة خطة راشدة ، وقد آلت ملكيته عبر =

obeikandi.com

ويمثل موقع البركة الآن منطقة الزهراء بمصر القديمة [١]

مساحتها وحدودها :

تبلغ مساحة بركة الشعيبية أربعة وخمسين فدانًا [٢] ، أما حدودها فان الحد القبلى (الجنوبى) كان ينتهى بعضه إلى الجسر الفاصل بين هذه البركة وبين بركة الحبش ، وكان يوجد بهذا الجسر قنطرة يدخل الماء منها إلى بركة الشعيبية وباقى هذا الحد أرض ومبانى تخص مناظر المعشوق التى بناها ابن حنا [٣] ، أما الحد البحرى (الشمالى) فكان بعضه جسر يصل بين هذه البركة وبين بركة شطا التى تقع شمالها ، وكان هذا الجسر يعرف بجسر الحيات وكان فى هذا الجسر قنطرة تصل الماء بين البركتين [٤] وقد عرف هذا الجسر باسم جسر السنجارى [٥] عندما بنى منظرة عليه ، أما الحد الشرقى للبركة فكان ينتهى إلى الدور والأبنية التى بناها أعيان القضاة والكتاب على حافتها ، أما الحد الغربى فكان ينتهى إلى جرف النيل . [٦]

تاريخ وقف البركة والعمارة عليها :

كانت هذه البركة وقفا للمؤرخ ابن مماتى [٧] سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م ثم استأجر البركة الأمير عز

=الزمن إلى عدد من الوزراء والامراء منذ زمن الدولة الطولونية حتى دولة المماليك ، ففى زمن الطولوونيين عرف بجنان كهمس بن معمر المتوفى ٣١١هـ ثم عرف بجنان المادراتى المتوفى ٣٤٥هـ ثم عرف باسم الأمير تميم بن المعز (أخو الخليفة العزيز بالله المتوفى ٣٧٤هـ) ، ثم جدده الوزير الفاطمى الأفضل بن أمير الجيوش فعرف به ، وفى زمن الدولة الأيوبية صار من وقف الشيخ الصابونى على بنية وعلى رباطه الذى كان مجاوراً لقبة الامام الشافعى ، ثم فى زمن الدولة المملوكية حكر أرضة الصاحب تاج الدين محمد بن حنا وعمر به مناظر ووقفه على رباط الآثار . انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٩ ـ ١٦٠

= (٥) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٨ ـ ١٥٩

(١) ذكر سامى نوار فى رسالته "المنشآت المائية" ، ص١٧٣ " أن بركة الشعيبية مكانها اليوم عين الصيرة : ولكن هذا الموقع ليس له أى علاقة بموقع بركة الشعيبية التى كانت تقع بمنطقة الزهراء

(٢) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٤ ، ص٥٥ . ، المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٩

(٣) كان فى هذا الحد قديماً ترعة ردمها الصاحب تاج الدين بن حنا وأقام منشآته هناك .

(٤) كان فى هذا الحد أيضاً ترعة أخرى يجرى ماء النيل فيها إلى هذه البركة ثم ردمها الأمير عز الدين أيبك الأفرم بعد ذلك . المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٩ .

(٥) هو بدر الدين يوسف بن الحسين بن على السنجارى نسبة إلى بلدة سنجار باقليم الجزيرة ، تولى قضاء المذهب الشافعى بالقاهرة سنة ٦٥٥هـ فى أثناء سلطنة الملك المنصور على ابن الملك المعز ايبك ، ثم تولى بعد ذلك منصب قاضى القضاة الشافعية ، وقد توفى فى رجب ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م . انظر . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص٤٢ ، ٢١٩ .

(٦) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٩، وقد ذكر المقريزى هذه الحدود القائمة أول العصر المملوكى نقلاً عن نصين لأبن المتوج بينهما فاصل زمنى . وقد وفقت بين النصين فى تعيين تلك الحدود

(٧) انظر ترجمته فى : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٠

الدين أيبك الأفرم فحازها بالجسور والأسوار عن الماء وجعلها بستاناً غرس به الأشجار والكروم وحفر الآبار وزرع بها الشتول والخضروات ، وقد خصص من مساحتها خمسة أفدنة العمارة حولها ، وقد بنى أعيان المصريين من القضاة والكتاب الدور والمناظر حولها [١] ، وكان نتيجة لإقامة الأفرم لجسره الذى عرف أيضاً بجسر الشعيبية أن كثر السكان فى المنطقة حينئذ مما حدا بالأفرم أن يبنى مسجداً جامعاً على الجسر لخدمة سكان المنطقة فى سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٤م . [٢]

وقد تخربت الدور والمناظر حول البركة وعلى طول جسر الأفرم نتيجة للمحن التى ألمت بمصر فى بداية القرن ٩هـ / ١٥ م وقد ذكر المقريزى "أن البركة فى أيامه كانت مزارع وبساتين وغير ذلك" [٣].

وقد كانت البركة متنزهاً لأهالى مصر قبل تحويلها لبستان ، وكانت الشخاتير [٤] (مراكب النزهة) تدخلها ، وظلت موضع تنزه بعد تحويلها لبستان حتى تعرضت للتخريب والدمار ، وتحولت إلى كيمانات فى بداية القرن ٩ هـ/ ١٥م . [٥]

بركة شطا

الموقع :

كانت بركة شطا تقع شمال بركة الشعيبية ، وحدد "المقريزى" موضعها بقوله "هذه البركة موضعها الآن كيمان على يسرة من يخرج من باب القنطرة بمدينة مصر طالباً جسر الأفرم ورباط الآثار [٦]

---

(١) المقريزى ، الخطط ،جـ٢ ، ص١٥٩ .

(٢) عرف هذا المسجد الجامع زمن المقريزى باسم جامع اللبان نسبة لإقامة الشيخ محمد اللبان الشافعى به ، وقد تخرب وما حوله عقب المحن التى حلت بمصر سنة ٨٠٦ هـ وكذلك لانحسار النيل عنه فبطلت منه الصلاة يوم الجمعة ، ولكن الجامع ظل قائماً بعد ذلك حيث ورد فى وثائق السلطان الغورى . انظر : ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٤ ، ص٧٨ ، المقريزى ، جـ٢ ، ص٣٠٣ ، كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف ص ١٤٦ .

(٣) الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٨ .

(٤) الشخاتير جمع شختور أو شختورة وهى مركب نيلى كان يستعمل للنزهة ، ويبدو مما ذكره المؤرخون عن استعماله فى النيل والبرك والخلجان بالقاهرة ومن صور الرحالة له أنه كان مسلوب الشكل مدبب الطرفين ، وكان طوله يتراوح بين خمسة وعشرة أمتار وعرضه من متر إلى مترين وكان له سار واحد وله من ستة الى عشرة مجاديف وكان شخص يقف فى مؤخرته بقائم طويل معه يحركة يميناً أو يساراً ، وكان بالجزء الخلفى منه كابينه خشبية (حجرة صغيرة) لها سقف مدبب فتح بكل جانب من جانبيها طاقات (نوافذ) عددها بين اثنين إلى اربعة لها ستائر تغطيها .

(٥) الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٩ .

(٦) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦١ .

وبناءاً على ذلك يمكن تحديد موقع هذه البركة الآن بأنها تمثل الجزء الجنوبى من خرطة الشيخ مبارك شمال محطة الزهراء حالياً بمصر القديمة .

وكان الماء يدخل إلى هذه البركة عن طريقين ، الأول من خليج بنى وائل بواسطة برابخ (أنابيب) والآخر عن طريق قنطرة تتوسط جسر الحيات [١] الفاصل بينها وبين بركة الشعيبية جنوبها [٢] .

العمارة حول البركة فى العصر المملوكى :

كانت الدور تحيط بالبركة وكان بجوارها بستان فيه منظرة ودرابة [٣] . وطاحون وحمام وبظاهر بابه حوض سبيل كان القاضى مخلص الدين الموقع المعروف بالمخلص قد عمرهم ، وكذلك كان يتوسط البركة مسجد يعرف بمسجد الجلالة يتوصل إليه من خلال قناطر . [٤]

وقد تخربت الدور والبساتين حول البركة فى القرن ٩هـ/ ١٥م نظراً لأنقطاع الماء عنها وأصبح موضع البركة كيماناً [٥] .

بركة قارون

الموقع والمساحة والحدود :

حدد "المقريزى" موقع هذه البركة بقوله "هذه البركة موضعها الآن فيما بين حدرة ابن قميحة خلف جامع بن طولون وبين الجسر الأعظم الفاصل بين هذه البركة وبركة الفيل" . [٦]

وحدرة ابن قميحة ذكرها كلاً من ابن دقماق والمقريزى [٧] ونستدل من كلامهما ومن مسحنا

---

(١) ورد جسر الحيات باسم جسر الجنات فى كتاب الانتصار لابن دقماق ، جـ٤ ، ص٥٥ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦١ ، ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٤ ، ص٥٥ .

(٣) الدرابة نوع من الابواب الخشبية . انظر :

عبداللطيف ابراهيم ، الوثائق فى خدمة الآثار ، "بحث فى كتاب دراسات فى الآثار الاسلامية ، (القاهرة ، ١٩٧٩) ، ص٤٠٧ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦١ ، ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٤ ، ص٥٥ .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦١ .

* كان لانحسار الماء عن الضفة الشرقية للنيل فى بداية القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى عظيم الأثر فى خراب الخطط والمنشآت الواقعة على الضفة الشرقية ، وبالتالى تأثرت البرك الثلاث المذكورة بذلك لصعوبة مدها بالماء عن طريق خليج بنى وائل الذى لم يهتم أحد بمده وتنظيفه من أوله حيث طغى الرمل عليه ، بالاضافة للمحن الاخرى التى ذكرها المقريزى والتى بدأت سنة ٨٠٦هـ ، واذا كنا قد رأينا عودة العمران مرة أخرى أيام المؤيد شيخ للخطط المواجهة لجزيرة الروضة والجزيرة الوسطى فإن المنطقة جنوب الفسطاط والتى تشمل البرك الثلاث المذكورة أنفا لم تأخذ حظها من التعمير مرة أخرى .وانظر بالتفصيل الفصل الاول .

(٦) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦١

(٧) نفس المصدر ، جـ١ ، ص٢٩٩ ، ٣٠٤ . الانتصار ، جـ٤ ، ص١٢٤ ، جـ٥ ، ص٤٥ .

obeikandl.com

للمنطقة أن حدرة ابن قميحة لا تزال على حالها حتى الآن ، وهى أرض منحدرة من تلال زينهم وينزل منها إلى شارع زينهم المتعامد على أول شارع زين العابدين [١] .

أما الجسر الأعظم [٢] فيقع مكانه الآن شارع مراسينا الذى يمتد من ميدان السيدة زينب حتى جامع سلار وسنجر الجاولى .

وعلى ذلك تبدو البركة فى زمن المماليك تشغل مساحة كبيرة تقدر بحوالى خمسة عشرة فداناً يحدها شرقًا حافة جبل يشكر وحدرة ابن قميحة وغربا كان يحدها بساتين وأرض حكرت فى زمن الناصر محمد بن قلاوون وبنى عليها ، وشمالا كان يحدها الجسر الاعظم .

ويمثل موضع البركة اليوم المنقطة الممتدة بين شارع زينهم الجديد جنوبا وشارع سلامة شمالاً وشارع الوابور شرقاً وحارة الشيخ البغال وسيدى زينهم غرباً .

أسماء البركة :

كانت بركة قارون تعرف أيضاً أيام المماليك باسم بركة الفيل الصغرى ، كما كانت تعرف أيضاً باسم بركة قراجا [٣] ، وقد وقعها الرحالة نيبور الذى زار مصر سنة ١١٧٥ ـ ١١٧٦هـ/ ١٧٦١ ـ ١٧٦٢ م فى خريطته باسم بركة أيوب بك ورمز لها بالحرف (y) نسبة لأيوب بك [٤] الذى كان يملك

---

(١) ذكر المرحوم "محمد رمزى" أن حدره ابن قميحة كانت واقعة على الحافة الغربية من جبل يشكر فى الجهة الجنوبية الغربية من قلعة الكبش ، ومكانها الآن الموضع المنحدر من تلول زين العابدين حيث ينزلون منها إلى خطى البغالة والمذبح فى نقطة تلاقى شارع العسكر بشارع أمير الجيوش فى منطقة التلول المذكورة بقسم السيدة زينب بالقاهرة . انظر: تعليقة على النجوم ، جـ٧ ، ص١٩٧ .

* وإنى وإن كنت اتفق مع ما ذكره المرحوم رمزى عن موقع حدرة قميحة بشكل عام إلا أنى أرى ان التحديد الذى ذكرته اعلاه هو الذى قصده المقريزى عنها .

* كما لم يتوصل الباحث فهمى عبدالعليم إلى موضع الحدرة بالضبط حيث اعتقد انها تمثل أول طريق بيرم التونسى (سكة المذبح سابقاً) بمنطقة زينهم . انظر : العمارة الاسلامية ، (دكتوراه) ، ٧١ .

* والجدير بالذكر هنا أن "على باشا مبارك" اعتقد خطأ أن حدرة ابن قميحة هذه هى الحدرة الواقعة فى أول شارع قلعة الكبش بجوار جامع صرغتمش من الجهة الغربية (شارع الدحديرة الآن) . انظر : الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص٣١٨ .

* كما أن مصلحة التنظيم اطلقت اسم الحدرة على زقاق فى منطقة الغتامة بشارع السيدة عائشة جنوبى جامع البردينى بقسم الخليفة وهذا خطأ أيضاً .

(٢) قال المقريزى عن الجسر الأعظم "أن هذا الجسر فى زماننا هذا قد صار شارعا مسلوكا يمشى فيه من الكبش إلى قناطر السباع وأصله جسر يفصل بين بركة قارون وبركة الفيل وبينهما سرب يدخل منه الماء وعليه أحجار يراها من يمر هناك" . الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦١ .

(٤) كان ايوب بك من مماليك محمد بك أبوالدهب ، وقد وصفه الجبرتى بأنه كان خيراً ، وقد تولى أمرة الحج =

داراً وحوشاً على الشاطىء الشرقى للبركة ، ولاتزال المنطقة تعرف للآن بحوش أيوب بك أمام الساقية الأثرية .

وقد عرفت البركة فى العصر العثمانى بأسم بركة الملا ، وقد وقعت بهذا الاسم على خريطة الحملة الفرنسية [١] ، ثم عرفت بعد ذلك باسم بركة البغالة [٢] ، نسبة لضريح ومسجد الشيخ البغال .

العمارة حول بركة قارون :

كانت البركة محفوفة بالعمائر والبساتين أيام الطولونيين والأخشيديين لأنها كانت داخلة ضمن نطاق وحدود مدينتى العسكر والقطائع [٣] ، ثم خربت بخرابهما .

وفى بداية دولة المماليك البحرية كان ماحول البركة خالياً من المبانى وكان يقع غربها بستان كبير ، وابتدأ البناء حولها من سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م فى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون حيث عمت القاهرة الكبرى نهضة عمرانية كبيرة ايامه ، وأول من عمر حول البركة هو الأمير اقبغا عبدالواحد [٤] الذى أتاح له الناصر محمد حكر أرض البستان الذى يقع غربى البركة فعمره وعرف بحكر أقبغا وأذن للناس بالبناء فيه فبنى فيه الأمراء والجند الدور والمساكن ، وسكن هناك عدد كبير من التتر والوافدين من أواسط آسيا فى ذلك الوقت وانتشأ بعمارة هذا الحكر سوق وجامع [٥] واتصلت عمارة الحكر بعمارة خط قناطر السباع وخط السبع سقايات المجاورين له [٦] . وكانت البركة وما حولها عامرة فى زمن المقريزى [٧] (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٠م)

=فترة، وكان مهتما بالعلم والعلماء وقد توفى سنة ١٢١٥هـ . انظر: عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٤٥٣ ـ ٤٥٤، مظهر التقديس ، ص ٢٢٥ .

(١) انظر الخريطة تحت رقم ١٥٢ فى المربع 12 - x . (٢) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص٣١٩ .

(٣) عن بركة قارون زمن الطولونيين والأخشيديين ، انظر : Salmon G., Etudes Sur La Topographie du Caire- La Kal'at al- Kabchet la Birkat al Fil, IFAO le Cairo, 1902. محمود الحسينى ، التطور العمرانى لعواصم مصر الإسلامية .

(٤) هو الامير علاء الدين أقبغا عبدالواحد استادار السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وقد وصف بالظلم ، واليه تنسب المدرسة الاقبغاوية التى على يسرة الداخل من باب الجامع الأزهر المعروف بباب المزينين ، وقد قتل سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣ م. انظر بالتفصيل المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣٨٣ ـ ٣٨٦ .

(٥) المقريزى ، الخطط جـ٢ ، ١١٦ .

(٦) خط قناطر السباع يمثل موضعة الان منطقة ميدان السيدة زينب بالقاهرة ، اما خط السبع سقايات فكان يقع غرب خط قناطر السباع ومكانه الآن حارة السيدة زينب وفروعها وكان يمتد جنوباً حتى يصل إلى قرب قنطرة السد التى كانت تقع امام جامع الموارديى الآن بشارع الخليج المصرى (شارع بورسعيد) . وكان حكر اقبغا يمتد شمال غرب خطى قناطر السباع والسبع سقايات . ومن الاخطاء التى وقعت فيها مصلحة التنظيم أنها اطلقت اسم شارع السبع سقايات على شارع يصل بين شارع القصر العينى وسكة حديد حلوان غربى الخليج بينما كان خط السبع سقايات شرقى الخليج . انظر : محمد رمزى ، مذكر بيان الاغلاط التى وقعت من مصلحة التنظيم فى تسمية الشوارع والطرق بمدينة القاهرة وضواحيها ، (ط دار الكتب ، ١٩٢٥) ، ص ١٢-١٣ .

(٧) المقريزى، الخطط جـ٢، ص ١٦١.

وكان لسلاطين المماليك عمائر ومنشآت تطل على البركة مباشرة كمنشأة المؤيد شيخ [١] وكذلك فى المنطقة المحيطة بالبركة مثل منشآت قانصوه الغورى [٢] .

وفى العصر العثمانى استمر العمران قائماً حول البركة ، وكانت مساحتها تتناقص مع الزمن حيث كان الناس يقتطعون أجزاءاً منها ويبنون عليها منازلهم ، بالإضافة لتحويل مساحات منها لبساتين . [٣] وقد بقيت من البركة مساحة صغيرة أيام "على باشا مبارك" بغير بناء [٤] إلا أنها ردمت بعد ذلك وبنى عليها وبذلك زالت آثار البركة كلية .

بركة الحمصانى

هذه البركة لم يذكرها المقريزى وإنما ذكرت ببعض الوثائق ، ففى وثيقة المؤيد شيخ ورد أنه كان له بناء [٥] بخط الجسر الأعظم بظاهر القاهرة ، وعن حدوده ذكر "أن الحد القبلى ينتهى إلى الطريق تجاه الكبش والمصلاة والحد البحرى ينتهى إلى بركة الحمصانيين والحد الشرقى ينتهى إلى الطريق السالكة إلى قناطر السباع والقلعة ، وفى هذا الحد خمسة عشر مقعداً واثنى عشر مخزناً بأبواب مقنطرة كاملة الابواب والحد الغربى ينتهى إلى البركة" [٦] .

وبناء على ماورد بهذه الوثيقة نقول أن بركة الحمصانيين هذه تقع الآن بمنطقة حوش أيوب بك [٧] بالسيدة زينب المطل على قلعة الكبش أمام الساقية الأثرية (أثر رقم ٤٣٢) مباشرة . [٨]

---

(١) كان بناء المؤيد شيخ عبارة عن مصبغة ورد ذكر حدودها كالتالى : الحد القبلى ينتهى إلى حدود وقف ابن صورة ، والحد البحرى ينتهى إلى مكان يعرف بوقف تاج الدين السنى والحد الشرقى ينتهى إلى الطريق السالكه إلى مصر وغيرها وفيه الباب وحانوتان والحد الغربى ينتهى الى البركة المعروفة ببركة قارون . وثيقة المؤيد رقم ٩٣٨ أوقاف سطور ١٨٦- ١٨٨ ، نشر فهمى عبدالعليم ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ ويبدو مما سبق ان هذه المصبغة ربما كانت تقع بالمنطقة التى بها جامع السيدة زينب .

(٢) كتاب وقف السلطان الغورى ، رقم ٨٨٢ أوقاف .

(٣) انظر خريطة الحملة الفرنسية .

(٤) الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص٣١٩ .

(٥) هذا البناء عبارة عن مخزن للسلاح والعتاد العسكرى خاص بالسلطان المؤيد فهو يحوى طبلخاناة ومخازن للسلاح وبيت الزردخاناه وأماكن المخاوندار وغير ذلك ، انظر الوصف الوثائقى للبناء فى :
وثيقة المؤيد شيخ رقم ٩٣٨ أوقاف سطور ١٨٩ - ١٩٥ ، نشر فهمى عبدالعليم ، المرجع السابق ١٩٨ - ١٩٩ .

(٦) نفس الوثيقة سطور ١٩٦ - ١٩٨ ، نفس المرجع ، ص١٩٩ . ، وانظر أيضاً : على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٥ ، ص٢٨٨ .

(٧) وقع حوش أيوب بك على خريطة الحملة الفرنسية برقم ٢٠٧ فى المرجع V-11

(٨) يشغل معظم مساحة البركة الآن بمدرسة أم المؤمنين الاعدادية بنات وكذلك مجموعة العمارات التى حول المتاجر الشعبية بشارع أيوب المتفرع من شارع مراسينا بالسيدة زينب .

ومن تطبيق حدود بناء المؤيد شيخ الآن نرى أن الحد القبلى له ينتهى إلى شارع أيوب بك تجاه الكبش أما الساقية وأن المصلاة المذكورة بهذا الحد المقصود بها جامع لاجين السيفى (أثر رقم ٢١٧) لأننا نراه موقع بأسم جامع المصلى فى خريطة الحملة الفرنسية تحت رقم ٢٠٤ فى المربع U-11 وان شارع مراسينا (عبدالمجيد اللبان حاليا) الذى تقع واجهة الجامع به قد وقع على خريطة الحملة الفرنسية باسم سكة المصلى تحت رقم ٢٠٦ فى المربع U-11 ، وان الحد البحرى (الشمالى الغربى) للبناء الذى كان ينتهى للبركة يقع الآن فى فناء مدرسة أم المؤمنين الاعدادية بنات ، وأن الحد الشرقى يمثله الآن شارع مراسينا الذى ورد فى الوثيقة أنه الطريق السالكة إلى قناطر السباع (ميدان السيدة زينب حالياً) والقلعة ، والحد الغربى يقع بفناء المدرسة المذكورة .

وقد ذكرت بركة الحمصانى أيضا فى كتاب وقف السلطان الغورى الذى أوقف بناءاً عبارة عن حوانيت ومخازن وقاعات وزريبة مطلة على البركة المعروفة بالحمصانى [١] على الأرض المحتكرة ظاهر القاهرة المحروسة بخط الجسر الاعظم قريباً لقناطر السباع وحدود هذا البناء وردت كالتالى : الحد القبلى ينتهى بمكان يعرف بالركنى عمر الاستادار، والحد البحرى ينتهى بمكان يعرف بعبد الله النشار ، والحد الشرقى ينتهى إلى شارع المسلوك وفيه الواجهة الشرقية والحوانيت والبابان والرواشن والحد الغربى ينتهى إلى البركة المذكورة (بركة الحمصانى) [٢] ، وبناء على ذلك نرى أن بناء الغورى هذا كان يقع شمال غربى بناء المؤيد ويطل على شارع مراسينا .

وقد اعتقد بعض الباحثين أن بركة الحمصانى هذه هى بركة قارون [٣] ، ولكننا نقول أنهما مختلفتان ، وأن بركة الحمصانى كانت تقع شمال شرق بركة قارون وأنهما كانتا موجودتين فى العصر المملوكى الجركسى كل على حده فى وثيقة المؤيد شيخ ووثائق الغورى ، ويبدو أنه قبل ذلك أن بركة الحمصانى هذه كانت جزءاً من بركة قارون واقتطعت فى العصر المملوكى الجركسى وصارت قائمة بذاتها . وقد تحولت أرض هذه البركة إلى بستان بعد ذلك مما نراه بخريطة الحملة الفرنسية . [٤]

---

(١) انظر الوصف الوثائقى للبناء فى كتاب وقف الغورى رقم ٨٨٢ ق أوقاف ، ١٠٥ ، الوثيقة رقم ٤٥٢ جـ أوقاف .

(٢) كتاب وقف الغورى رقم ٨٨٢ ق أوقاف ، ص ١٠٥ .

(٣) ذكر الباحث "عوض الامام" فى رسالته "أن المقريزى أخطأ عندما ذكر أن شارع الجسر الأعظم كان يفصل بين بركة الفيل وبركة قارون وأن الصواب أن شارع الجسر الأعظم يفصل بين بركة الفيل وبركة الحمصانى على ضوء ما ورد بوثيقة الغورى. انظر : الأصول الوثائقية الجامعة لأوقاف السلطان الغورى ، دكتوراه "مخطوطة" (كلية الآداب ، جامعة أسيوط ، ١٩٨٨) ص ١٧١ الحاشية .

ولكننا نقول أن المقريزى لم يخطىء لأن الزميل الباحث لم يطلع على وثيقة المؤيد التى ورد بها ذكر لكلتا البركتين أى انهما مختلفتان ، وبغض النظر عن هذا السبب الرئيسى فلطالما ورد أكثر من اسم لمكان واحد .

(٤) بدراستنا لخريطة الحملة الفرنسية نجد بها بركة موقعة باسم بركة طولون برقم ٢٣٨ فى المربع V-10 وتقع بأعلى الكبش ، ولم يذكروا هذه البركة ضمن حصرهم للبرك لأن هذه البركة ليست بركة طبيعية من التى تأخذ مياهها من الخلجان وإنما كانت عبارة عن منطقة غائرة محاطة بتلال مرتفعة بأعلى الكبش خلف جامع قايتباى (أثر رقم ٢٢٢) وأنى أرى أنها قد استخدمت كخزان ومنهل للمياه ليأخذ سكان الكبش حاجتهم للماء منها وكان يأتيها عن طريق الساقية الأثرية (أثر رقم ٤٣٢) .

(٦) بـركة الفيـل

بركـة الـفيـل من أقدم برك القـاهرة ذكراً فى التاريخ ، وكانت مـن أعظم متنزهاتها حـتى نهاية القرن الماضى .

سبب تسميتها :

اختلف فـى سبب تسمية الـبركة ببركة الفيـل فهناك رأى ينسبـها إلى رجل أسمه الفـيل كان أحد أصحـاب أحمد بن طـولون [١] (٢٥٤ - ٢٦٩ هـ / ٨٦٨ - ٨٨٢ م) ، وهنـاك رأى ثانى للأسـتاذ المرحوم «محمد رمزى» ينسبها إلى دار الفيلة التى كانت واقعة على حافة البركة [٢] وهناك رأى ثالث يذكر أنها قبل لها بركة الفيل لأنه كان يسبح فيها فيل كبير يخرج الناس لرؤيته . [٣]

أما اللفظ الوثائقى فى زمن المماليك والعثمانيين فهو إما بركة الفيل أو بركة الأفيلة . [٤]

موقع البركة ومساحتها وحدودها :

كانت بركة الفيـل تقع فيما بين مصر الفسـطـاط والقاهرة ، وكانت مساحتها فى الـعصر الفاطمى كبيرة جداً ولـم يكن عليها بنيان حتى عام ٦٠٠ هـ وكانت تعتبر من ظواهر مدينة القاهرة [٥] ، وفى

(١) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص ٣٦٢ .

(٢) القاموس الجغرافى ، القسم الأول ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

* وقد ذكر الاستاذ محمد رمزى «أن» دار الفيلة هذه كانت واقعة على حافة البركة وتعود إلى زمن خمارويه بن أحمد بن طولون (٢٦٩ - ٢٨٢ هـ / ٨٨٢ - ٨٩٥ م) حيث أنه كان مغرماً باقتناء الحيوانات من السباع والنمور والفيلة والزرافات وغيرها ، وأنشأ لكل منها داراً خاصة له ومنها دار الفيل هذه على حافة البركة من الجهة القبلية (الجنوبية) الشرقية حيث شارع نور الظلام الآن وكان الناس يقصدون البركة للتزهة والفرجة على الفيلة فاشتهرت بينهم ببركة الفيل من وقتئذ الى اليوم .

*وذكر الاستاذ رمزى أيضاً فى تعليقه على النجوم ، جـ٧ ، ص ٣٦٧ «أن دار الفيلة هذه التى على بركة الفيل غير دار الفيل التى كانت على بركة قارون واشتراها كافور الاخشيدى أمير مصر من حبس بنى مسكين فهذه الدار كانت واقعة على سكة المذبح من الجهة الشمالية منها جنوبى خط البغالة بقسم السيدة زينب» .

** ولكننى لا أدرى من أى مصدر استقى الاستاذ رمزى معلومته عن دار الفيلة وحدد مكانها بشارع نور الظلام ، فقد ذكر «ابن دقماق» فى كتابه الانتصار جـ٤ ، ص ١٢٥ «أن دار الفيل الأولى كانت على بركة قارون فى جنان بنى مسكين ، وفى زمن كافور الاخشيدى نقلت الفيلة إلى الدار التى بالقرب من الجامع الطولونى على جبل يشكر قبلى مناظر الكبش» .

* فعلى ذلك تكون الدار بعيدة عن الموضع الذى حدده الاستاذ رمزى بشارع نور الظلام .

(٣) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، القسم الأول ، ص ١٥٣ .

(٤) كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف . ، حجة وقف الأمير حسن كتخدا عزبان رقم ١٧٦ أوقاف .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٦٢ .

obeikandl.com

العصر المملوكى كانت حدودها تمتد من بستان الحبانية شمالاً [١] ، الى بستان سيف الإسلام شرقاً [٢] إلى تحت الكبش إلى الجسر الأعظم الفاصل بينها وبين بركة قارون جنوباً إلى الخليج المصرى غرباً [٣] . وكانت مساحتها تقدر بنحو أربعين فداناً فى العصر المملوكى ، وتقلصت مساحتها مع الزمن حتى وصلت إلى الشكل البيضاوى الذى وقعت به فى خريطة الحملة الفرنسية (برقم ١٣٦ فى المربعين T.8, T.9 ، ورقم ١٦ فى المربعين R-9, Q-9 .

وكانت البركة تشغل من القاهرة المساحة التى تحد اليوم من الشمال بسكة الحبانية ومن الغرب بشارع درب الجماميز فشارع اللبودية وشارع الخليج المصرى ثم من الجنوب بشارع عبدالمجيد اللبان (مراسينا سابقاً) ثم يميل الحد إلى الشمال الشرقى حتى مدرسة أزبك اليوسفى حتى يتقابل مع أول شارع نور الظلام ويسير فيه إلى أول شارع الألفى فشارع مهذب الدين الحكيم فسكة عبدالرحمن بك وما فى امتدادها إلى الشمال حتى تقابل الحد البحرى (الشمالى الغربى) . [٤] (شكل ٢٦) .

ايقاف البركة :

وعن تاريخ هذه البركة نجد أنها فى العصر المملوكى كانت وقف أيتام الملك الظاهر بيبرس [٥] ثم استولى الأمراء على أجزاء من مساحتها بعد ذلك [٦] واستمر التعدى على أرضها ونسى إيقافها .

تغذية بركة الفيل بالماء :

كانت بركة الفيل تغذى بالماء فى العصر المملوكى من موضعين ، الأول من ناحية الجسر الأعظم تجاه الكبش عن طريق مجرى مائى مغطى بمجاديل حجرية ، وقد ذكر «المقريزى» أنها كانت قديماً

---

(١) بستان الحبانية كان أحد البساتين الواقعة بظاهر القاهرة الفاطمية خارج باب زويلة وكان واقعاً شمال بركة الفيل ، وقد سمى بهذا الاسم نسبة إلى أحد البطون العربية من طى ، وقد أوقفه السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى على خانقاة سعيد السعداء ، وفى العصر المملوكى فصل الناس بين بستان الحبانية وبين بركة الفيل بطريق يسلك المارة فيها ، وهذا الطريق يمثله الآن سكة الحبانية . أنظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٣٣ ؟

(٢) بستان سيف الاسلام كان أحد البساتين بظاهر القاهرة الفاطمية وكان يقع شرقى بركة الفيل ، وقد عرف بذلك الاسم نسبة الى سيف الإسلام هفتكين بن نجم الدين أيوب أخو صلاح الدين . أنظر : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٣٣ ، ٣٩٧ .

(٣) ابن دقماق ، الانتصار ، جـ٥ ، ص ٤٥ .

(٤) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق١ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ . ، تعليقه على النجوم ، جـ ٧ ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٥) ابن الجيعان ، التحفة السنية ، ص٦ .

(٦) انظر ما يلى ، ص ١٦٦ .

obeikandl.com

قنطـرة كبيرة تهدمت فعـمل لها مجاديـل حجرية ، وكانت هـذه القنطرة أو المجرى تتصـل ببركة قارون [١] التى تأخذ مياهها من عند قنطرة السد . [٢]

أما الموضع الآخر لتغذيتهـا فعن طريق قبو (سرب) يتصل بالخليج الكبيـر كان أصله قنطرة تعرف بالمجنونة كـانت قد تهدمت فى زمن المقـريزى ، وذكر أنه تبقى منهـا بقية عقد ناحية الخـليج كان قد عقده الأمير الطيبرسى وبنى فوقه متنزهاً [٣] .

ومن الطريف أن اسم قنطرة المجنونة هذا يرتبط بإسم بانيها وهو الأمير الطيبرسى [٤] ، فكان الماء يندفع من الخليـج ليملأ البركة التى كانت منخفـضة بشدة وبسرعة مجنونة فـموا الـقنطرة المجنونة ، وكان الأمير الطيبرسى هذا يعتريه الجنون وقد تلقب بالمجنون فجاء هذا الارتباط [٥] ، وقد كان لهذا الأمير محـبة زائـدة للفقراء والصوفـية لذا فقد بنى هذه القـنطرة لأجل الشيخ شهاب الديـن الحنبلى الـعابـر [٦] ولفقرائه ، وقد نظم الشـعراء فى ذلك الموضوع أبياتاً يتفكهون بها مـنها قول الشاعر علم الدين بن الصاحب [٧] :

ولقد عجبت من الطبرس وصحبه . . وعقـــولهم بعقـــوده مفتـــونة

عقـدوا عقـوداً لا تصـح لأنهم . . عقدوا لمجنون على مجنونة [٨]

وموضع قنطرة المجنونـة الآن يقع بشارع الخليج المصرى فى نقطة بجـوار جامع ذو الفقار بك (أثر رقم ٤١٥) الشهير بجامع غيطـاس بك من الجهة الجنوبية له [٩] . وكانت هذه القنـطرة موجودة حتى

---

(١) الخطط ، جـ٢ ، ص ١٦٢ .

(٢) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق١ ، ص ١٥٢ .

(٣) الخطط ، جـ٢ ، ص ١٦٢ .

(٤) الطيبرس هـو الأمير سيف الدين الطيبـرس بن عبدالله المنصورى (نسـبة إلى السلطان المنصور قـلاوون) كان يشغل منصب والى القلعة ، وكـان من أعيان الأمراء بمصر ، وكان متديناً وله محبة زائدة بالـفقراء «الصوفية» إلا أنه كان متشدداً فى احكامه وخـصوصاً مع النسـاء ، وقد توفى سنة ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م . أنظـر : المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ، ص٥١ . ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص ٤٨ ، النجوم الزاهرة ، جـ٨ ، ص ٢٣٠ .

(٥) هذا رأى المرحوم محمد رمزى ، انظر القاموس الجغرافى ق١ ، ص١٥٢ .

(٦) هو شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن عبدالمنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور النابلسى الحنبلى العابر ، وقد سمى بهذا الأسم لأنـه يعبر الرؤيا وصنـف فيها . وقد توفى سـنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧ م . انظر : المقريـزى ، السلوك ، جـ١ ، ص ٨٥٠ ، ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص ٤٨ ، النجوم ، جـ٨ ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(٧) هو علم الدين أحمـد بن يوسف عبدالله بن الصاحب ، توفى ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م . انظر : ابن تغرى بردى ، المنهل ، جـ ٣ ، ص ٤٩ ، الحاشية .

(٨) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ١٦٢ ، ابن تغرى بردى ، المنهل ، جـ٣ ، ص٤٩ ، النجوم ، جـ٨ ، ص ٢٣٠ .

(٩) محمد رمزى ، تعليقة على النجوم ، جـ٨ ، ص ٢٣٠ .

obeikandi.com

آخر القرن الماضى حيث ذكر «على باشا مبارك» أن الماء كان يصل منها إلى جناين المنزل والقصور أمامها والى البجمون الباقى من بركة الفيل . [١]

الزراعة ببركة الفيل :

كانت بركة الفيل من ضواحى القاهرة ، واعتبرت من النواحى ذات الوحدة المالية المقرر على اراضيها الخراج سنوياً ، وكانت بركة الفيل منخفضة يغمرها ماء النيل عن طريق الخليج المصرى وقت الفيضان ، وبعد نزول الماء كانت تزرع أصناف شتوية ، وكان أشهر محصولاتها القرط المعروف بالبرسيم حيث كان يستهلك فى تغذية دواب القاهرة ، وظلت البركة معتبرة فى دفاتر المساحة من النواحى المربوط على أراضيها الخراج ولم يحذف اسمها من جداول اسماء النواحى إلا بعد أن تحول معظم أراضيها إلى مساكن . [٢]

انتهاء بركة الفيل :

كانت بركة الفيل كبيرة المساحة كما ذكرت آنفاً ، وبدأ البناء حولها من بداية القرن ٧ هـ / ١٣م، ثم اقتطعت منها مساحات وتوالى البناء عليها طوال العصرين المملوكى والعثمانى حتى وصلت الى المساحة التى نراها برخيطة الحملة الفرنسية المرسومة سنة ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م ، ثم ما لبثت هذه المساحة أن بنى عليها الخديوى عباس حلمى الأول (١٢٦٥ - ١٢٧١ هـ / ١٨٤٨ - ١٨٥٤ م) سراى ذات حديقة كبيرة وهى التى كانت مسماه سراى الحلمية ، وفى سنة ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م قسمت أرض الحديقة ، وفى سنة ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م ، هدمت السراى وقسمت أراضيها أيضاً وبيعت جميع القطع وأقيمت عليها عمارات حديثة تعرف بين أخطاط القاهرة بالحلمية الجديدة [٣] .

العمارة حول بركة الفيل فى العصر المملوكى :

تمتعت بركة الفيل فى العصر المملوكى بأهمية عظيمة ، فبنى حولها السلاطين والأمراء وأعيان الدولة القصور ذات البساتين والمناظر والدور الكبيرة من جميع جهاتها ، وكذلك بنيت حولها المساجد والخانقاوات والمدارس والزوايا والحمامات .

وكان ما حول البركة حتى بداية الدولة الأيوبية بساتين ، ثم بدأ الملوك والأمراء الأيوبيين يحفون شواطئها بمناظر الفرجة ، ثم بدأ البناء بتلك البساتين بدرجة قليلة بعد سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٢ م حتى

---

(١) الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص ١٠٣ .

(٢) محمد رمزى ، القاموى الجغرافى ، ق١ ، ص ١٥٢ ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص٣٦٦ .

(٣) محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق١ ، ص ١٥٢ ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٧ ص ٣٦٦ .

obeikandl.com

كانت النهضة العمرانية الكبيرة حول البركة فى فترة حكم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة حيث عمرت القاهرة وظواهرها عمارة كبيرة وامتد العمران إلى بر الخليج العربى الذى كان خالياً من المبانى ، وحينئذ حكرت أراضى البساتين والأرض الفضاء حول البركة واختطت بها الخطط والأحياء والحارات والدروب ، وقد تميزت العمائر بالثراء الشديد والتأنق وعظمة وفخامة العمارة وجمال وروعة الزخرفة فصارت بركة الفيل متنزهاً عظيماً يسكن حولها الطبقة المتميزة العليا فى المجتمع المصرى فى العصر المملوكى ، واستمر ذلك الوضع الطبقى فى العصر العثمانى .

ومن الخطط التى عمرت فى العصر المملوكى حول البركة خط قبو الكرمانى بالجانب الغربى منها فيما بينها وبين الخليج وكان من أعمر خطط القاهرة ، وفى الجانب الشرقى لها حكرت أرض بستان سيف الاسلام وعمر به خط درب ابن البابا وحكر الخازن ، وفى الجانب الجنوبى للبركة عمر خط الجسر الاعظم وفى الجانب الشمالى عمرت حارة الحبانية .

أ - العمارة بالجانب الشرقى والجنوبى الشرقى للبركة :

ظل الجانب الشرقى للبركة خالياً من البناء حتى بداية القرن ٨ هـ / ١٤ م ، وفى فترة حكم الناصر محمد حكرت البساتين شرقى البركة وعمرت بكثافة وصارت من أعمر خطط القاهرة ، وقد عمر هناك حكر الخازن فى الجزء الجنوبى الشرقى وخط درب ابن البابا شرقية .

وحكر الخازن هذا ينسب للأمير علم الدين سنجر الخازن [1] والى القاهرة أيام الناصر محمد ، وقد قال «المقريزى» عن هذا الحكر : «هذا المكان فيما بين بركة الفيل وخط الجامع الطولونى ، كان من جملة البساتين ثم صار اصطبلاً لخيول المماليك السلطانية ، فلما تسلطن العادل كتبغا أخرج منه الخيول وعمله ميداناً يشرف على بركة الفيل سنة ٦٩٥ هـ ، ونزل إليه ولعب بالأكراه أيام سلطنته كلها إلى أن خلعه الملك المنصور لاجين وقام فى الملك من بعده فأهمل أمره وعمر فيه والى القاهرة

---

(١) هو الامير علم الدين سنجر بن عبدالله الخازن والى القاهرة ، كان من مماليك الملك المنصور قلاوون ، وفى زمن الملك الاشرف خليل بن قلاوون ترقى وصار خازناً ثم شاد الدواوين ثم ولى الكشف بالبهنسا بالوجه القبلى ثم ولى القاهرة وشد الجهات وأقام عدة سنين حتى عزل عن ولاية القاهرة سنة ٧٢٤ هـ ، وقد قاد مع والى قوص حملة لغزو النوبة فى عسكر كبير ، وكان حسن السيرة والسياسة والاخلاق ، واليه ينسب حكر الخازن هذا على بركة الفيل ، وكان له من الآثار مسجد فوق الدرب الذى استجده بالحكر وكان له خانقاه ورباط وتربة دفن بها بالقرب من الامام الشافعى ، وقد توفى عن ٩٠ عاماً فى يوم السبت ٨ جمادى الأولى سنة الاولى سنة ٧٣٥ هـ .
انظر : المقريزى ،
الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ ، ٤٢٨ . ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٣٨٨ . ، ابن حجر العسقلانى الدرر الكامنة ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

بيتاً فعرف حينئذ بحكر الخازن وتبعه الناس فى البناء هناك وأنشئوا فيه الدور الجليلة فصار من أجل الاخطاط وأعمرها وأكثر من يسكن به الأمراء والمماليك» . (١)

وذكر «المقريزى» أيضاً حكر الخازن فى كلامه عن ميدان بركة الفيل وذكر أنه كان مجاوراً لاصطبل قصر بكتمر الساقى (٢) الذى حل محله الآن الحوض المرصود ، كما ذكر أيضاً أن المدرسة البشيرية (أثر رقم ٢٦٩) تقع بحكر الخازن (٣) .

ومما سبق يتبين أن حكر الخازن يقع بالجانب الجنوبى الشرقى لبركة الفيل ويمثله الآن المنطقة السكنية المحصورة بين شارع الخضيرى جنوباً حتى مدرسة بشير الجمدار شمالاً . (٤)

أما خط درب بن البابا فقال عنه المقريزى : «هذا الخط يتوصل إليه من تجاه المدرسة البندقدارية بجوار حمام الفارقانى ويسلك فيه إلى خط واسع يشتمل على عدة مساكن جليلة ، ويتوصل منه الى الجامع الطولونى وقناطر السباع وغير ذلك ، وكان هذا الخط بستاناً يعرف ببستان ابى الحسين بن مرشد الطائى ، ثم عرف ببستان نامش ، ثم عرف أخيراً ببستان سيف الإسلام طغتكين بن أيوب وكان يشرف على بركة الفيل وله دهاليز واسعة عليها جواسق تنظر الجهات الأربع ، ويقابله حيث الدرب الآن المدرسة البندقدارية وما فى صفها الى الصليبة بستان يعرف ببستان الوزير بن المغربى وفيه حمام مليحة ويتصل ببستان ابن المغربى بستان غرف اخيراً ببستان شجر الدر وهو حيث الآن سكن الخلفاء بالقرب من المشهد النفيسى ويتصل ببستان شجر الدر بساتين إلى حيث الموضع المعروف اليوم

---

(١) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ .

(٢) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٣) الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٩٩ .

(٤) ذكر «محمد رمزى» فى تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص ٣٠٦ «أن الأرض التى كان عليها حكر الخازن واقعة فى المنطقة التى تحد اليوم من الشرق بشارع أزبك وحارة نجم الدين ومن الشمال بحارة نجم الدين أيضاً وبعطفة حمام بابا ومن الغرب شارع محمد قدرى باشا ومن الجنوب شارع الخضيرى بالقاهرة» .

* ولكن بالرجوع الى المصادر والوثائق المملوكية نجد أن أرض حكر الخازن كانت أكبر من تلك المساحة التى حدده الاستاذ رمزى لأنها كانت تمتد شمالاً حتى مدرسة بشير الجمدار التى كانت واقعة بأرض الحكر .

* وذكر المرحوم «رمزى» أيضاً فى نفس الصفحة «وقد اطلقت مصلحة التنظيم اسم سنجر الخازن على حارة متفرعة من ميدان مصطفى باشا فاضل شرقى المدرسة الخديوية باعتبار أن حكر الخازن كان بتلك الجهة وهذا غير صحيح لأن الجهة المذكورة بعيدة عن الموقع الأصلى لهذا الحكر ولا علاقة لها به» .

* وأقول أن هذه الحارة تقع بحى الحلمية الجديدة وقد عدل اسمها بعد ذلك إلى اسم شارع السيد البلاوى (نقيب الاشراف سابقاً) لكنه فى تلك الجهة وهذه الحارة (الشارع الآن) تصل بين شارع مصطفى سرى وميدان مصطفى فاضل . انظر :

محمد كمال السيد أسماء ومسميات ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .

بالكبارة من مصر ، ثم أن بستان سيف الإسلام حكره أمير يعرف بعلم الدين الغتمى فبنى فيه الناس الدور فى الدولة التركية وصار يعرف بحكر الغتمى وهو الآن يعرف بدرب ابن البابا» . (١)

والأمير ابن البابا الذى ينسب إليه الخط هو جنكلى ابن البابا من كبار أمراء السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (٢) .

وقال «على مبارك» فى تحقيق البساتين التى ذكرها المقريزى «ومن حقوق بستان ابن المغربى الآن المدرسة البندقدارية المعروفة اليوم بزاوية الآبار التى بشارع السيوفية ومدرسة البنات الكائنة بجوارها وما فى صفها الى شارع الصليبة أما بستان سيف الإسلام فكان فى مقابلته على يمنة السالك من الشارع إلى الصلبية ، وكان يمتد إلى بركة الفيل وفيه إلى الآن الحمام المعروف بحمام البابا» (٣) .

يتضح لنا مما سبق أن خط درب ابن البابا كان فى أصله بستان من البساتين القديمة التى كانت تمتد خارج باب زويلة حتى مشهد السيدة نفيسة ، وفى العصر المملوكى وخاصة أيام الناصر محمد بن قلاوون حكرت أرض هذه البساتين وبنيت عليها الخطط ، وكان خط ابن الباب هذا يقع شرقى بركة الفيل وحكر الخازن .

وفى شمال البركة عمرت حارة كبيرة تسمى حارة حلب ، وأحياناً اطلق عليها فى المصادر والوثائق اسم زقاق حلب واتصلت عمارتها بخط ابن البابا ، وقال «المقريزى» عنها فى كلامه عن الحارات «حارة حلب هى خارج باب زويلة تعرف اليوم بزقاق حلب كانت قديماً من جملة مساكن الأجناد» (٤) ، كما ذكرها أيضاً فى كلامه عن المدرسة المهذبية (٥) وعن حمام الدود (٦) . وكانت حارة حلب تواجه جامع قوصون (قيسون) .

(١) الخطط ، جـ٢ ، ص ١٣٤ .

(٢) هو الأمير علم الدين جنكلى ابن البابا بن خليل بن عبدالله العجلى ، من كبار أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون ، كان قد قدم إلى مصر سنة ٧٠٤ هـ من مقامه بالقرب من آمد وقد زوج الناصر محمد ابنه ابراهيم من ابنة الأمير ، وظل معظما ايام الناصر وايام ابنه الصالح اسماعيل حتى مات يوم الاثنين ١٧ ذى الحجة ٧٤٦ هـ ، وكان حسن الخلقه والاخلاق وعرف عنه حب العلم والعلماء . انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٣) الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص ٢٣٥ .

(٤) الخطط ، جـ٢ ، ص ٢٣ .

(٥) قال المقريزى عنها «هذه المدرسة بحارة حلب خارج القاهرة عند حمام قمارى بناها الحكيم مهذب الدين محمد بن أبى الوحش المعروف بابن أبى حليقة تصغير حلقة رئيس الاطباء بديار مصر ولى رياسة الأطباء فى حادى عشر رمضان ٦٨٤ هـ واستقر مدرس الطب بالمارستان المنصورى» . الخطط ، جـ٢ ، ص ٣٩٧ .

* ذكر على مبارك أن هذه المدرسة كانت موجودة أيامه وكانت تعرف بتكية الخلوتية وهى داخل عطفة مراد بك التى بأول شارع الحلمية . الخطط التوفيقية ، جـ ٦ ، ص ٤١ .

(٦) أنشأ هذا الحمام الأمير سيف الدين الدود المتوفى سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م ، وقد صار هذا الحمام من أوقاف قايتباى هو وحمام للنساء بجواره ، وقد رمم الحمام فى العصر العثمانى وقد وقع فى خريطة الحملة الفرنسية=

وحارة حلب كانت متصلة العمران فى العصريـن المملوكى والعثمانى ، وقد ذكر «على مبارك» أن حارة أو زقاق حلب تمثـلت فى عطفة مراد بك التى تقـع على اليمين للسالك من شـارع محمد على متفرعة من شارع السيوفية ، وبها زقاقان احدهمـا ليس بنافذ والآخر يتصل بشارع محمد على [١] ، كما ذكر أيضـاً أن وقت دخول الفرنساوية كان زقاق حـلب المذكور درباً نافذاً متصـلاً بشارع الداودية والحبانية ، وكان فيه عدة بيوت شهيرة بينها بيت مراد بك الذى سمى به الزقاق [٢] . هذا وقد ضاع جزء كبير من حارة حلب فى شارع محمد على عند فتحه فى عهد الخديو اسماعيل [٣] .

وبجوار حارة حلب استجد خط عرف باسم خط حوض ابن هنس ، وحوض ابن هنس هذا الذى نسبت إليـه الخطة هو حوض ترده الدواب وينقل إلـيه الماء من بئر ، وهو من أوقاف ابـن هنس على اعمال الخير ، وعمل باعلاه مسجداً مرتفعاً وساقية ماء على بئر معين [٤] .

وكـان حـوض ابـن هنـس [٥] واقعـاً فـى مـحور شارع محمد على وفى تجاه مـدخل شارع على باشا ابراهيم [٦] .

وقد ذكر «عـلى مبارك» أن موضع خـطة ابن هنس فى زمـنه يمتد من عـطفة مراد بك الى عـطفة الغسالة التى بآخر ميدان الحلمية [٧] .

= برقم ٩٣ فى المربع Q - 7 ، وقد اندثر الحمام الآن وكان مكانه عند تقابل شارع محمد على بشارع السروجية . انظر :

المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ٨٥ . ، على مبارك ، الخطـط التوفيقية ، جـ ٦ ، ص ١٩٥ . ، محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص ٣٣١ . ، اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى ، ص ١٢٤ . ، Pauty, ED, Les Hammams Du Cairo, MIFAO LXIV, La Cairo, 1933, no. 30.

وكتاب وقف قايتباى رقم ٨٨٦ أوقاف ، ص ٦٩ - ٧٥ .

(١) الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

(٢) نفسه ، ص ١٤٨ .

(٣) محمد كمال السيد ، أسماء ومسميات ، ص ٣٨٣ .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ .

(٥) ذكر «المقريزى» عن ابن هنس انه الأمير سعد الدين مسعود بن الأمير بدر الدين هنس ابن عبدالله أحد الحجاب فى أيام الصالح نجم الديـن أيوب ، وقد مات يوم السـبت عاشر من شوال سنة ٦٤٧ هـ ودفن بجوار الحوض ، وكان هذا الحوض قد تعطل فى زمن المقريزى فجدده الأمير تتر أحـد الأمراء الكبار فى مدة سلطنة المؤيد شيخ سنة ٨٢١ هـ ، وتتر هذا تسلطن عدة شهور سنة ٨٢٤ هـ .

الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ .

(٦) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

(٧) الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

* وقد ذكر على مبارك أيضاً أنه يـوجد بأول عطفة مراد بك قبر تسمية العامة بالـشيخ الاربعين ، وهو على غالب الظن قبر ابن هـنس المذكور وأما الحوض فقد زال من زمن مديد وأمـا البئر المعين فغالباً هى المـوجودة بمنزل الأمير يعقوب . أنظر : الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ .=

أما عن المنشآت الدينية التى بنيت على الحافة الشرقية لبركة الفيل بحكر الخازن ولاتزال موجودة اليوم فهى المدرسة البشيرية ومسجد مغلباى طاز وجامع أزبك اليوسفى .

فأما المدرسة البشيرية فقد بناها الأمير سعد الدين بشير الجمدار الناصرى سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م وكان موضعها مسجداً يعرف بمسجد سنقر السعدى الذى بنى المدرسة السعدية (التكية المولودية أو مسرح الدراويش حالياً أثر ٢٦٣) فهدمه بشير الجمدار وبنى المدرسة الصغيرة التى تتكون حاليا من قاعة واحدة ، وقد ذكر "المقريزى" أنه جعل بها خزانة كتب وأنها من المدارس اللطيفة (١) (الصغيرة)، وقد عرفت فى العصر العثمانى باسم زاوية الشيخ طلام ، وكانت قد جرت لها عمارة سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م على يد الأمير عمر أغادار السعادة (٢) ، وهى تشرف الآن على شارع نور الظلام وتحمل رقم ٢٦٩ فى فهرس الآثار الإسلامية بالقاهرة .

وكذلك كان يوجد بحكر الخازن مسجد مغلباى طاز (٣) الذى بنى سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م واعتقد ان هذا المسجد بنى فى محل مسجد الخازن (٤) ويتضح ذلك من وثيقة السلطان طومان باى (٥) ، والمسجد موجود بحارة بنت المعمار المتفرعة من شارع نور الظلام ، ويحمل رقم ٢٠٧ فى فهرس الآثار الإسلامية .

= هذا ويوجد بحى الخلمية شارع اسمه شارع ابن هنس ثم عدل اسمه الى شارع أحمد باشا تيمور (١٨٧١ - ١٩٣٠ م) تخليداً لذمراه .

محمد كمال السيد ، اسماء ومسميات ، ص ٣٨٤ .

(١) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٩٩ .

(٢) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٦ ، ص٨- ٩ .

* اغادار السعادة لقب تركى المقصود به أكبر موظفى القصر الهمايونى ، وكان أغادار السعادة هو المشرف على أوقاف الحرمين الشريفين ، انظر بالتفصيل :

أحمد السعيد سليمان ، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، (ط دار المعارف القاهرة) ، ص١٨ - ١٩ ,

(٣) هو الأمير مغلباى طاز الابوبكرى ، كان من مماليك المؤيد شيخ ، وترقى فى عهد اينال إلى أمير عشرة ثم إلى أمير طبلخاناه ، وفى سلطنة خشقدم ترقى إلى أمير مائة مقدم ألف ، وكان قد تولى عدة وظائف هامة منها نيابة صفد وحسبة القاهرة وامرة الحج ، وقد تزوج من آسية بنت السلطان بلباى ، وعندما خلع بلباى من السلطنة نفى مغلباى إلى دمياط بطالا ، وقد توفى بها فى صفر ٧٨٣هـ / ١٤٦٨م من عمر يناهز على ٨٠ عاماً ودفن بتربته بالصحراء . انظر: ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ١٦ ، ص١٥٠ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٨٤ ، ٣٨٥ . ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ١٠ ، ص ١٦٤ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٣ ، ص٢٠ .

(٤) انظر ما سبق ، ص١٥٢ حاشية

(٥) ورد بوثيقة طومان باى رقم ٢١٨ بدار الوثائق القومية فى سطور ٢٨- ٣٠ أنه آل إليه بيت كان من أوقاف مغلباى طاز الابوبكرى وكانت حدوده وقت انشائه كالتالى "الحد القبلى ينتهى إلى الطريق المسلوك وفيه الواجهة والحد البحرى ينتهى إلى البركة والحد الشرقى ينتهى الى مكان يعرف قديماً بالخازن والحد الغربى الى دار تعرف قديماً بالحلبى .

كـــما يوجد أيـضاً بحكـر الخازن جامع أزبك الـيوسفى (أثـر ٢١١) الذى بنى سـنة ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٣م [١] ، وهو مبـنى على نمـط النظام المـدرسى الذى ساد فـى النصف الـثانى من حـكم دولة المماليك الجراكسة ، والذى يتكون من درقاعة وسـطى مغطاة يحيط بها ايوانان وسدلتان [٢] ، وهـو يقع الان بشارع أزبك الذى يتفرع من شارع الصليبة بالسيدة زينب .

أما عن الدور والقصور التى كانت تحيط بالحافة الشرقيـة للبركة فكانت تنتمى إلى السلاطين وكبار الأمراء شأنهـا فى ذلك شأن الدور الأخرى التى عـلى جميع جوانب الـبركة ، وكانت تتميـز بالثراء المعمارى والزخرفى والتوافق الجمالى الكبير .

ومن الـسلاطين الذين كان لهم دور تطل وتشرف على البـركة مباشرة الـسلطان برسباى فقد كان له دار كبيرة بزقاق حلب تطل من جهتها البحرية على بركة الفيل [٣] .

وكان للســلطان قايتباى حـوالى خمسة بيوت بـالجانب الشرقى لـلبركة موزعة مابـين حكر الخازن ودرب ابن البابا وزقاق حلب . [٤]

---

(١) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ١ ، ص٢٧٢ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج٤ ، ص١١٥ - ١١٦

(٢) عن الجامع بالتفصيل ، انظر : سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤ ، ص٢٨٢ - ٢٩٢ .

(٣) ورد بكتـاب وقف الـسلطان برسبـاى رقم ٨٨٠ أوقاف ص١٠٥ ، ١٠٧ ، انه امـتلك داراً كانـت معروفة قـديما بالعمـادى بن الشرف بخط زقاق حلـب وهى مطلة على بـركة الفيل ، وكان حدهـا القبلى ينتهـى الى دار تعرف بالسـيفى جـركس الخليلى والى الطريق والحـد البحرى ينتهى الى بركـة الفيل والحد الشرقى ينتـهى الى زاوية والى الطريق والحد الغربى ينتهى الى الدار المعروفة قديما بايدغى ثم عرفت بالمقر السيفى جركس الخليلى ، وفى ص١٠٨ ورد أنه كان له مكـان آخر تجاه داره عبارة عن اصطبل ذكـر أن حده القبلى ينتهـى إلى مكان يعرف بـسكن الـطنبغا والحد البحرى إلى زقاق والحـد الشرقى إلى الطريق وفيه الواجهـة والحد الغربى إلى مكان يعرف بـسكـن الطنبغا . انظر ايضاً :

على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٤ ، ص١٢١ .

* ملحوظـة: وقعت جميع المشـآت والدور والقصور التى وردت بـالوثائق والمصادر عـلى بركة الفيل فـى العصر المملوكى .

(٤) ذكر الـسخاوى فـى ترجمة لقايتباى أنـه كان له بيت بدرب الخازن كان يعـرف ببردبك المعمار بناه بمـشارفة شاذ بك مطل على بركـة الفيل مجاور بيت امامه الـبرهان الكركى ، وذكر أيضاً أنه ابـتنى عمارة عظيمة عـلى البركة أيضاً مضافة لبيت خاير بك من حديد وبيت تجاهه بمشارفة الحاج رمضان المهتار وآخر بباب سر جامع قوصون مطل عليها أيضاً بمشارفة جانم دوادار يشبـك الدوادار كما شارف جانم ايضاً لقايتباى عمارة بيت اركـماس الظاهرى المطل على بركة الفيل ايضاً . انظر : الضوء اللامع ، جـ٦ ، ص٢١٠ .وبيت خاير بك من حديد الذى ذكره الـسخاوى تذكر عن احدى الوثائق الـسلطان قايتباى (محكمة بدون تاريخ) انه كان يقع بزقاق حلب . انظر : عبداللطيف ابراهيم ، الوثائق فى خدمة الآثار بحث فى كتاب دراسات فى الاسلامية ، ص٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

* وفى كتاب وقف الـسلطان قايتباى وصـف لعدة اماكن بدرب البابـا ، وكذلك بدرب الماس بجوار حمـام حليقة بحكر الغتمـى المطل على بركة الفيل وقد ذكر حدودة كـالاتى : الحد القبلى ينتهى الى الاسـطبل الذى هناك والى الزقاق وفيه الابواب والحد البحرى يـنتهى الى بركة الفيل المذكورة والحد الشرقى ينتـهى الى الاسطبل الذى هناك=

openkandil.com

وكان للامام البرهان الكركى [1] قاضى قضاه الحنفية فى سلطنة الأشرف قايتباى دار مجاوره لدار قايتباى بحكر الخازن مطلاً على بركة الفيل [2] ، وفى وثائق السلطان طومان باى آخر سلاطين المماليك الجراكسة ورد بها أن بيت الكركى يقع بالحد الشرقى لبيت طومان باى مطلاً على بركة الفيل [3] .

وكان السلطان الأشرف طومان باى آخر سلاطين المماليك (٩٢٢- ٩٢٣هـ / ١٥١٦- ١٥١٧م) يملك عدة دور وهو أمير بالجانب الشرقى للبركة بحكر الخازن ودرب ابن البابا وزقاق حلب ، وهذه الدور كبيرة وكاملة المرافق والملاحق والحدائق .

ففى الوثيقة رقم ٢١٨ أنه آل إليه ملكية بيت خرب كان من أوقاف مغلباى الأبو بكرى [4] وقد تصرفت فيه زوجته اسية بنت يلباى [5] وكانت حدود هذا البيت وقت انشائه كالتالى "الحد القبلى ينتهى إلى الطريق المسلوك وفيه الواجهة ، والحد البحرى ينتهى إلى البركة والحد الشرقى ينتهى إلى مكان يعرف قديماً بالخازن [6] والحد الغربى إلى دار تعرف قديماً بالحلبى [7] .

= والى الساقية وحمام حليقة والحد الغربى ينتهى الى ملك يعرف بطوغان قديماً والآن بغيره . انظر ص٢٢٢ - ٢٢٤ ، وهذا الدار كان قايتباى قد وقفه قديما على الامير جانم البهلوان .

* كذلك ذكر على مبارك: عدة وقفيات للسلطان قايتباى لأماكن له بزقاق حلب مطلة على بركة الفيل . انظر الخطط التوفيقية ، جـ٥ ، ص١٦٤ - ١٦٧ ؛ كما ذكر "ابن اياس" أن السلطان سليم شاه العثمانى فاتح مصر تحول لسكن بيت قايتباى المطل على بركة الفيل والذى يقع خلف حمام الفارقانى فى يوم الثلاثاء ١٦ رجب ٩٢٣هـ، وانه كذلك أمر بسد الخليج من عند قنطرة عمر شاه فترة حتى تمتلىء بركة الفيل بالماء . انظر : بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص١٩٤ - ١٩٥ ، ٢٠٢ .

* ونفس الشىء ذكره المؤرخ بن "ابى السرور البكرى . انظر :

تاريخ ملوك مصر ، "النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية ، (مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢١٦ تاريخ)، ورقة ٢١ ، ٤٢ .

(١) الكركى هو قاضى الحنفية برهان الدين ابراهيم بن زين الدين عبدالرحمن بن اسماعيل الكركى الحنفى ، كان عالماً رئيساً من أعيان الحنفية ، وقد تولى وظيفة قاضى قضاه الحنفية مرتين ، وكان إماماً للأشرف قايتباى ، كما تولى عدة وظائف هامه منها مشيخة مدرسة أم السلطان شعبان ، واستيفاء الصحبة وهى وظيفة جليلة يشرف صاحبها على كتابة مراسيم السلطان المتعلقة بالشئون المالية ، كما ولى مشيخة المدرسة الحسامية التى بناها الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة زمن السلطان المنصور قلاوون وهى تقع بخط المسطاح قريباً من حارة الوزيرية بالقاهرة ، وتولى أيضاً مشيخة المدرسة الأشرفية، وقد تعرض لمحن كثيرة فى حياته . وقد مات فى شعبان ٩٢٢هـ وسبب موته أنه نزل يتوضأ على سلم القبطون الذى ببيته على بركة الفيل وفى رجله قبقاب فزلت رجله بالقبقاب فوقع فى البركة وكان فى قوة ملئها أيام النيل ، فلما وقع ثقلت عليه الثياب فمات من وقته . انظر :

ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص٦٦ . ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٦ ، ص١٤ .

(٢) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ٦ ، ص٢١٠ . (٣) انظر ما يلى ص١٦٢ .

(٤) انظر ما سبق ، ص ١٥٨ .

(٥) هى اسية ابنة السلطان الظاهر سيف الدين يلباى الذى تولى السلطنة سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م لمدة شهرين فقط .

(٦) انظر ماسبق ، ص١٥٢ . (٧) الوثيقة رقم ٢١٨ المحفوظ بدار الوثائق القومية سطور ٢٨ - ٣٠ .

وقد ابدلت آسية هـذا البيت إلى الأمير برسباى بن عبـد الله العلائى [١] الذى هـدمه هو بنـائين بجوارة وبنى مكان كل ذلك داراً كـبيرة ذكرت حدودها كالتالى "الحد القبلى ينـتهى إلى الطريق وفيه الباب والواجهة ، والحد البحرى ينتهى الى بركة الفيل ، والحد الشرقى إلى مكان يعرف بالمقر المرحوم مغلباى طاز ، والحد الغربى ينتهى إلى سكن سيدنا برهان الدين الامام (الكركى) [٢] .

من خلال مـا ذكر عن حدود البـيت كما ورد بالمـوضعين السابقـين يتبين لى أن واجـهته القبـلية (الجنوبية) كان ينتهـى إلى الطريق الذى ربما يمثله اليوم حارة بنت المعمـار وأن الحد البحرى (الشمالى) كان يطل مباشرة على البركة والحد الشرقى كان ينتهى إلى مسجد مغلباى طاز الذى حل محل المسجد الذى كان قد أنشأه من قبل سنجر الخازن [٣] وأن الحد الغربى كان ينتهى إلى بيت الشيخ برهان الدين الكركى الذى حل محل الدار القديمة التى كانت تعرف باسم الحلبى .

وفى كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ق أوقاف مـلحق به أوقاف طومان باى ذكر فيه بناءان لطومـان باى بخط درب الخازن ذكر حـدودها كالتالى : الأول حـده القبلى ينـتهى إلى الطريـق وفيه الواجهة والحد البحرى ينتهى إلى بركة الفيل والحد الشرقى ينتهى إلى بيت الكركى والحد الغربى ينتهى إلى المجاز المشترك بينه وبين البناء الثانى [٤] .

أما البناء الثانى فحده الـقبلى ينتهى إلى الطريق وفيه الباب والحد البحـرى ينتهى إلى البركة والحد الشرقى ينتـهى إلى البناء الأول والحد الغربى الى بنـاء يعرف بوقف السيفى اسنبغـا الطيارى ثم عرف بالأمير ازدمر الدوادار [٥] ثم عرف بالأمير ايدكى [٦] .

وقد ذكر حدود البنائين معاً كالتالى : الحد القبلى يـنتهى إلى الطريق والحد البحرى ينتهى الى بركة الفيل والحد الشرقى ينتهى الى بيت الكركى والحد الغربى ينتهى الى بيت الجناب السيفى ايدكى [٧]

وكان لطومان باى بـناءان بخط درب ابن البابا مطلة علـى بركة النيل استبدلهمـا مع الأمير ايدكى ببنائـين آخرين بحكر الخازن مـطلة على بركة الـفيل ايضاً ، البـناء الأول الذى بخط ابن البـابا كانت حدوده كالتالى : الحد القبـلى كان ينتهى إلى زقاق وفيه الواجهة والباب ، والحـد البحرى ينتهى إلى

---

(١) هو الأمير برسـباى العلائى الأشرفى من مـماليك الأشرف قايتباى الذى انـعم عليه بأمره عشـرة فى محرم ٨٩٩ هـ وأصبح أمير طبلخاناه فى سنه ٩٠٨ فى أيام الغورى . انظر :
ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٣ ، ص٢٩٧ ، جـ٤ ، ص٣١

(٢) ملخص الوثيقة والانتقال بالبيع الذى بالهامش الايمن بظاهر الوثيقة بتاريخ ٥ ربيع آخر ٩٠٠ هـ .

(٣) انظر ما سبق ، ص١٥٢ ، ١٥٧ .

(٤) كتاب الوقف ٨٨٢ أوقاف ، ص٥٤٨ ، سطور ٣ - ٦ .

(٥) فى وثيقة الأمير ازدمر من على باى رقم ٢٤٠ المحفوظة بدار الوثائق القومية وصفاً لهذه الدار .

(٦) كتاب وقف الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف، ص٥٤٨ سطور ٣- ٦ .

(٧) نفس الصفحة ، سطور ٧ - ٩ .

بركة الأفيلة والحد الشرقى ينتهى إلى مسكن تمربای والحد الغربى ينتهى إلى بيت الأمير ازبك [١] نائب القلعة الشريفة [٢] .

أما البناء الثانى المجاور لـه فحده القبلى كان ينتهى إلى الزقاق ، والحد البحرى إلى البركة والحد الشرقى ينتهى إلى بيت المرحوم اصباى ، والحد الغربى ينتهى إلى ملك يجرى فى أملاكه . [٣]

أما البنائين اللذين بحكر الخازن وكانا فى ملك ايدكى وصارا فى ملك طومان باى فذكر حدودهما كالتالى : الأول حده القبلى ينتهى إلى الطريق المسلوك وفيه الباب والحد البحرى ينتهى إلى بركة الفيل، والحد الشرقى ينتهى إلى دار تعرف قديماً بالسيفى قرانمر والحد الغربى ينتهى إلى مكان يعرف بالأمير تنمر رأس نوبه كبير . [٤]

والبناء الثانى المجاور لـه فحده القبلى ينتهى إلى الطريق وفيه الواجهة والحد البحرى ينتهى إلى بركة الفيل والحد الشرقى ينتهى إلى بيت السيفى أقباى الأيتمشى والحد الغربى ينتهى إلى بيت الست وغيره . [٥]

وقد ذكر "على باشا مبارك" أنه كان يوجد فى زمنه دار كبيرة متخربه كانت للسلطان طومان باى وكانت تقع بزقاق حلب مشرفه على بركة الفيل وكانت تقع على يمين شارع السيوفيه مواجهة للتكية المولوية [٦] . ولكننى أرى أن هذه الدار كانت ملك السلطان قايتباى وآلت إلى طومان باى الذى كان ناظراً على أوقاف السلطان قايتباى ، فقد ذكر "البكرى" أن السلطان سليم سكن فى الدار التى عرفت فيما بعد بأسم دار عجم زاده المطلة على بركة الفيل بعد فتح مصر ورجوعه من الاسكندرية وبقى ساكناً بها إلى أن خرج متوجهاً إلى بلاده فى ثلاثة وعشرين من شعبان سنة ٩٢٣هـ [٧] ، وقد سبق "لابن اياس" أن ذكر أن السلطان سليم سكن بدار قايتباى التى تقع خلف حمام الفارقانى المطل على بركة الفيل [٨] وهذه الدار آلت ملكيتها بعد ذلك إلى سنان باشا الدفتردار ثم إلى محمد بك عجم زاده [٩] .

---

(١) هو ازبك الناشف الذى تولى نيابة القلعة فى ٥ ذى الحجة ٩٠٥ هـ بدلاً من جان بلاط الابج فى زمن السلطان جان بلاط ، وقد تولى هذا المنصب لشهور قليلة ثم استبدله الملك العادل طومان باى بعد ذلك بشخص يدعى طوخ المحمدى فى ٢٦ رجب ٩٠٦هـ . بدائع الزهور ، جـ٣ ، ص٤٤٠ ، ٤٧٠ .

(٢) كتاب وقف الغورى ٨٨٢ ، ص٥٣٨ سطور ١٤ - ١٦ .

(٣) كتاب وقف الغورى ٨٨٢ ، ص٥٤٠ ، سطور ٣- ٦ .

(٤) نفسه ، ص٥٧٣ ، سطور ٢- ٦ . (٥) نفسه ، ص ٥٧٤ ، سطور ١٣- ١٦ .

(٦) الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص١٨٠ .

(٧) قطف الأزهار ، مخطوط ورقة ٦٥ . النزهة الزهية ، مخطوط ، ورقة ٢١ .

(٨) بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ .

(٩) الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ١٨٠ .

ب - العمارة بالجانب الجنوبى لبركة الفيل :

عمر جنوب بركة الفيل فى العصر المملوكى خط الجسر الاعظم الذى يمثله الآن شارع مراسينا (عبدالمجيد اللبان حالياً) ، وتمت فى هذا الخط عمارة القصور العظيمة التى تطل من جهة على بركة الفيل ومن الجهة الأخرى على الجسر الاعظم ،*وحتى زمن الناصر محمد بن قلاوون لم يكن على بركة الفيل من جهة الجسر الاعظم مبان وانما كانت البركة ظاهرة يراها المار ، ثم أمر الناصر محمد بعمل حائط قصير بطولها فأقيم الحائط وصفر بالطين الاصفر ثم حدثت الدور هناك [١] .

وفى زمن "على باشا مبارك" كانت أرض البركة المجاورة لهذا الشارع مزارع وبساتين مملوكة لبعض الأمراء [٢] ثم بنى على تلك المزارع والبساتين بعد ذلك حتى صارت إلى ماهو عليه الآن .

ومن العمائر الدينية التى بنيت فى العصر المملوكى وكانت تطل على جنوب بركة الفيل زاوية عرفت باسم زاوية ابراهيم الصائغ ، وقد قال المقريزى ان موضعها بوسط الجسر الأعظم تطل على بركة الفيل عمرها الأمير سيف الدين طغاى بعد سنة ٧٢٠ هـ وأنزل بها فقيراً أعجمياً من فقراء الشيخ تقى الدين رجب الشيرازى [٣] يعرف بالشيخ عز الدين العجمى كان يعرف صناعة الموسيقى وله نغمة لذيذة وصوت مطرب وغناء جيد فأقام بها إلى أن مات فى سنة ٧٢٣هـ فتغلب عليها الشيخ ابراهيم الصائغ إلى أن مات يوم الأثنين ١٤ رجب ٧٥٤هـ فعرفت به" [٤] .

وقد ذكرت هذه الزاوية فى وثائق السلطان برسباى لأنها كانت مجاورة لأملاكه [٥] .

وهذه الزاوية كانت موجودة إلى نهاية القرن الماضى حيث ذكرها "على باشا مبارك" [٦] .

ومن أهم العمائر الدينية أيضا بخط الجسر الأعظم وكانت تطل من الجهة الأخرى على بركة الفيل جامع لاجين السيفى الذى أقيم سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م [٧] ولايزال عامراً بذكر الله تعالى للآن (أثر رقم ٢١٧) .

---

(١) المقريزى ، الخطط جـ٢ ، ص١٦٥ .

(٢) الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص٣٣٣ .

(٣) كان الشيخ تقى الدين رجب ابن اشيرك من أعلام الصوفية وكان مبجلاً من سلاطين وامراء المماليك ، أنشأ له الناصر محمد زاوية تحت قلعة الجبل بعد سنة ٧٢٠هـ ، وجددت سنة ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م ، وهى مسجلة أثر رقم ٤٧٦ . المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٤٣٢ .

(٤) الخطط ، جـ٢ ، ص٤٣٣ ـ ٤٣٤ .

(٥) انظر مايلى ، ص١٧١ .

(٦) قال " وأظن هذه الزاوية هى الموجودة لصق حوش ابراهيم جركس فى مقابلة منزل حسن باشا ناظر المطبعة الكبرى سابقاً . انظر : الخطط التوفيقية ، جـ٦ ، ص٤٥ .

* واعتقد المرحوم محمد رمزى أن هذه الزاوية هى أصل جامع لاجين ، النجوم ، ص٩ ، ص٨٩ . ولكن يتضح لنا مما سبق أن هذه الزاوية غير جامع لاجين ، وانها قد اندثرت الآن وكان موقعها غرب جامع لاجين .

(٧) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ٦ ، ص٢٣٢ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٥ ، ص٢٢٤ .=

obeikandl.com

وحفل خط الجسر الأعظم المطل على جنوب بركة الفيل بالقصور العظيمة التى قل أن يوجد لها نظير ، والتى بنيت أثناء سلطنة أعظم سلطان بناء وهو الناصر محمد بن قلاوون ، وتجاورت تلك القصور بجانب بعضها البعض وأمامها أبنية الكبش ، وكان شارع الجسر الأعظم حينئذ هو الطريق الذى تسلكه المواكب السلطانية لذلك صار له أهمية كبيرة فى الحياة الاجتماعية للقاهرة زمن المماليك.

ومن تلك القصور العظيمة قصر الأمير بكتمر الساقى [١] ، وقد أنشأه له السلطان الناصر محمد سنة ٧١٧هـ ، وكان يقع فى الحد الجنوبى للبركة على الجسر الأعظم مطلاً على الكبش عند مدرسة سلار وسنجر الجاولى [٢] (اثر ٢٢١) ، وقيل أن موضعه كان دار الأمير سلار ودور أخوته وقطعة من الميدان [٣] .

وقد كان هذا القصر من أعظم مساكن مصر وأجلها قدراً وأحسنها بنياناً وقيل أنه عمل أساسه اربعين ذراعاً [٤] ، وقد أدخل فى أرضه الميدان الذى أنشأه العدل كتبغا وأخذ قطعة من بركة الفيل بخلاف شرط الواقف عليها [٥] ليتسع بها الاسطبل الذى للأمير بكتمر بجوار القصر ، وقد ذكر المؤرخون أن القصر والاسطبل اكتملا على هيئة قل ما رأت العين مثلها ، وقد حفل القصر بالزخارف الرائعة واستعمل فيها الرخام واللازورد والذهب وعرق اللؤلؤ . [٦]

= حسن القصاص ، مساجد الامراء فى عصر السلطان جقمق (قراقجا الحسنى - الجمالى يوسف - لاجين السيفى)، دكتوراه "مخطوطة" ، (كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٨٥) .

(١) هو الأمير بكتمر بن عبدالله الركنى الساقى ، كان من مماليك المظفر بيبرس الجاشنكير ثم انتقل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون فحظى عنده بالرعاية وجعله ساقياً له ، وصار يترقى فى الوظائف حتى بلغ منصب أتابك العسكر وهو من المناصب الأولى فى دولة المماليك . وكان له شأن عظيم وكان صاحب الحل والعقد بالدولة ، وكان قد جمع أموالاً طائلة ، وكان جيد الطباع حسن الأخلاق ، وكان الملك الناصر قد زوجة أخته ورزق منها بولد اسمه احمد ، وكان له انشاءات عظيمة بمصر منها قصور بسرياقوس وخانقاة وتربة له بالقرافة، وفى سنة ٧٣٣ هـ أثناء عودته ومعه ابنه من الحجاز مصاحبين للملك الناصر محمد تحرز كل منهما من الآخر وخاف الناصر منه فدس له ولابنه السم فماتا بالطريق . انظر : ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص٣٩٠ - ٣٩٧, ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة ، جـ١ ، ص٤٨٧ . ابن اياس ، بدائع الزهور، جـ١ ، ص٤٦٤ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٦٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٦٤ .

(٣) المقريزى ، السلوك ، ج٢ ، ص١٧٣ . وعن هذا الميدان ، انظر مايلى ، ص ٣٨٠ .

(٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص١٨٨ .

(٥) كانت بركة الفيل جارية فى اوقاف أولاد الملك الظاهر بيبرس ، وطلب السلطان الناصر محمد استبدال جزء من أرضها لاجل القصر بموقع آخر إلا أن قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى رفض طلب السلطان لأنه يخالف مذهبه ولذلك اعتزل القضاء ، وعين السلطان بدله القاضى سراج الدين الحنفى الذى أذعن لرأى السلطان فحكم باستبدال الأض فى غرة رجب ٧١٧ هـ فلم يلبث هذا القاضى سوى مدة شهرين إلا وقد مات ، فاستدعى السلطان القاضى الحريرى مرة أخرى إلى منصبه .انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٦٨ ، السلوك ، جـ٢ ، ص١٧٣ ـ ١٧٤ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، جـ٤ ، ص٤٠ .

(٦) ذكر المقريزى أن النفقة على العمارة كل يوم بلغت مبلغ ألف وخمسمائة درهم غير محسوباً فيه ثمن الأحجار=

ولما تمت عمارة هذا القصر فى عشرة أشهر سنة ٧١٧هـ سكنه بكتمر ، وكان الناصر محمد دائم النزول والمبيت به [١] ، ومن هذا القصر خرج شوار (جهاز) ابنه الأمير بكتمر لما تزوجها الأمير أنوك ابن السلطان الناصر محمد سنة ٧٣٢هـ ، وهذا الشوار ندر ان يكون له مثيل فى تاريخ مصر [٢] .

ولما مات بكتمر صارت أوقافه بيد أولاده وأولادهم وصارت فى النهاية بيد ابن ابنته أحمد بن قرطاى المعروف بـ أحمد بن بنت بكتمر ، وكان القصر فى غاية من الحسن ولا ينزله إلا اعيان الأمراء إلى أن كانت سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م فتصرف ابن بنت بكتمر هذا فى محتويات القصر فباع رخامه وشبابيكه وكثيراً من سقوفه وأبوابه وغير ذلك وعمل بدل الرخام بلاطاً واستبدل بالشبابيك الحديد شبابيك خشب [٣] ، وقد قام بهذا التصرف منتهزاً فرصة غياب السلطان المؤيد شيخ وذهابة إلى دمشق لمحاربة نوروز الحافظى مما يدل على أهمية دور وقصور القاهرة الخاصة بأمراء الدولة الكبار باعتبارها من الأماكن الاستراتيجية الهامة التى تمثل رموزاً للدولة .

وفى حدود سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧ م تملك هذا القصر عائلة المؤرخ بن تغرى بردى ثم ابتاعه منهم غصباً الأمير تمر باى رأس نوبه النوب فى سنة ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م بنحو ألف دينار [٤] وتوارث ملكية هذا القصر الأمراء بقية العصر المملوكى ، واستمر عامراً فترة فى العصر العثمانى [٥] . وموضع هذا القصر الآن منطقة الحوض المرصود بالسيدة زينب .

ومن القصور التى بناها الناصر محمد لأمرائه على بركة الفيل بخط الجسر الأعظم قصر الأمير بهادر الجوبانى بجوار زاوية البرهان الصائغ تجاه الكبش [٦] ، وقد اندثر هذا القصر الان وكان موقعة غربى جامع لاجين .

= والعجل التى تحملها لأنها كانت تخص السلطان وكذلك غير محسوب فى المصاريف والنفقة أجرة الفعلة لأنهم استخدموا فى البناء أهل السجون المحبوسين ولو حسبت ذلك لبلغت النفقة اليومية الضعف ، واستمرت العمارة عشرة أشهر وقدرت النفقة الف الف (مليون) درهم زيادة على خمسين ألف دينار سوى ما حمل وسوى من سخر فى العمل . انظر الخطط ، ج٢ ، ص٦٨ .

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٦٤ .

(٢) انظر بالتفصيل : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٦٨ . ، ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص١١٠ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٦٨ .

(٤) ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص٣٩٢ .

(٥) ظل قصر بكتمر قائماً حتى بنى مكانه الأمير صالح بك القاسمى أمير الحج داره العظيمة سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م ، ثم صارت هذه الدار تتقلب مع تقلب حوادث الأيام إلى أن أصبحت من أملاك الحكومة فجعلت فى عهد محمد على باشا الكبير ورشة لعمل الاسلحة والذخائر وعرفت باسم ورشة الحوض المرصود بشارع مراسينا بالقاهرة ، ثم هدمتها الحكومة بعد ذلك وشقت فيها شارع محمد قدرى باشا فقسمها قسمين الغربى منها وهو معظم مساحتها جعلته متنزهاً عاماً باسم متنزه الحوض المرصود ، والقسم الآخر لا يزال قائماً شرقيه وهو مجعول مستشفى يسمى مستشفى الحوض المرصود للأمراض الجلدية . انظر :على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص٣٢٨ ـ ٣٣٠ . محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص١٨٨ .

(٦) المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ،ص٥٤٠ ، عبدالرحمن زكى ، القاهرة ، تاريخها وآثارها (ط القاهرة ، ١٩٦٦) ، ص١١٧ .

ومن القصور التى بنيت على البركة بخط الجسر الأعظم قصر الأمير أرغون الكاملى [1] ففى سنة ٧٤٦ هـ/ ١٣٤٥م رسم السلطان الكامل شعبان للأمير أرغون الكاملى بدار أحمد شاد الشرابخاناه [2] وأمر بأن يعمر له بجوار هذه الدار قصراً من مال السلطان يطل على بركة الفيل من جهة وعلى الجسر الأعظم مقابل الكبش من الجهة الأخرى، وأدخل فى ذلك القصر ٢٠ ذراعا من أرض البركة ، وانتهى من عمارة القصر فى صفر ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م وكان ملاصقاً لقصر بكتمر الساقى الذى يقع شرقية [3] وذكر "على مبارك" أن محله فى زمنه الحوش المقابل لجامع الجاولى المعروف بحوش ابراهيم شركس وما يجاوره إلى الحوض المرصود [4] . أما موضعه اليوم فعمارات حديثة .

وذكر المؤرخون أنه كان يوجد بخط الجسر الأعظم مقابل الكبش دار مطلة على بركة الفيل ، كانت أول أمرها ملكاً للأمير أولجاى اليوسفى [5] زوج خوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان ، ثم آلت إلى الأمير على باى رأس نوبة كبير [6] وكان يسكن بجوار على باى الأمير أقباى الطرنطاى [7]

---

(١) الأمير أرغون الكاملى هو سيف الدين بن عبدالله الكاملى الصغير نائب حلب ثم نائب دمشق ، تبناه الملك الصالح اسماعيل بن محمد بن قلاوون وزوجه أخته من أمه بنت الأمير أرغون العلائى فى سنة ٧٤٥هـ ، وكان يعرف بأرغون الصغير ، فلما مات الملك الصالح وتولى الملك من بعده أخوه الملك الكامل شعبان أعطاه إمرة مائة وتقدمه الف وسماه أرغون الكاملى فى جمادى الأول ٧٤٦هـ . وقد وتولى نيابة حلب سنة ٧٥٠هـ ونيابة دمشق ٧٥٢هـ، وعاد إلى نيابة حلب مره أخرى سنة ٧٥٤هـ ، ولما تسلطن الملك الناصر حسن للمرة الثانية سنة ٧٥٥ هـ عزله ، وفى سنة ٧٥٦ هـ اعتقله الناصر حسن بالقاهرة ثم بالاسكندرية ثم نفاه إلى القدس بطالاً ، وبنى هناك تربة له دفن بها لما مات يوم الخميس ٢٦ شوال سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧ م وعمره نحو ٣٠ سنة . انظر : المقريزى ، الخطط، جـ٢، ص٧٣ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٠ ، ص٣٢٦ ـ ٣٢٧ ، المنهل ، جـ٢ ، ص٣٢٣ .

(٢) هذه الدار سكنها الملك الظاهر جقمق وهو أمير ومنها تسلطن سنة ٨٤٢هـ ، ثم سكنها الملك الأشرف إينال وهو أمير كذلك ، ومنها تسلطن ايضاً سنة ٨٥٧هـ ، انظر: المقريزى ، السلوك ، جـ٤ ، ص ١٠٧٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٠ ، ص١٢٠ ـ ١٢١ ، جـ١٥ ، ص ٤٣٨ .، وانظر ما يلى ، ص١٧١ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص ٧٢ .، السلوك ، جـ٢ ، ص٧٠٢ . ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ١٠ ، ص١٢٧ . ، المنهل ، جـ٤ ، ص٢٧٩ .

(٤) الخطط التوفيقية ، جـ٢ ، ص ٣٢١ .

(٥) هو الأمير سيف الدين الجاى بن عبدالله اليوسفى الناصرى ، كان من مماليك الناصر حسن والذى رقاه إلى أمير مائة مقدم ألف ، وقد تولى عدة وظائف هامة فى الدولة ، وتزوج بخوند بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان ، ولما توفيت خوند بركة توترت العلاقة بين الجاى والسلطان وخرج الجاى عليه فى محرم ٧٧٥ هـ إلا أنه انهزم ومات غريقاً فى النيل فى ٨ محرم سنة ٧٧٥هـ/ ١٢٧٣م ودفن بقبة مدرسته بخط سويقة العزى بسوق السلاح (اثر رقم ١٣١) . انظر : ابن تغرى بردى المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٦) فى هذه الدار أراد على باى أن يقتل الظاهر برقوق ، وذلك بأنه ادعى المرض ليعوده الظاهر برقوق عند عودته من فتح الخليج فى ١٩ ذى الحجة سنة ٨٠٠ هـ ، ولكن تلك المؤامرة فشلت وأدت إلى القبض على على باى وخنقه . انظر : ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ١ ، ص٤٦٦ ـ ٤٦٩ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ، ق٢ ، ص٥٠٥ ـ ٥٠٧ .

(٧) هو الأمير سيف الدين اقباى بن عبدالله بن حسين شاه الطرنطاى المعروف بالحاجب ، كان من مماليك الظاهر =

وبسبب هذا الجوار كانت الفتنة التى أدت إلى خروج على باى على السلطان الملك الظاهر برقوق وأدت إلى موته [١] .

وقد امتلك السلطان برسباى بناءاً يطل على بركة الفيل تجاه الكبش بالقرب من قناطر السباع كان يعرف قديماً بالمقر اليوسفى سودون بقجة [٢] ثم عرف بعد ذلك بأسم السلطان برسباى ، وهذا البناء كان يتكون من قاعة (قصر) مطلة على البركة واصطبل ومرافق وغير ذلك ، وقد ذكر حدوده بأن الحد القبلى كان ينتهى إلى مكان كان يعرف قديماً بوقف بكتمر الساقى ، والحد البحرى إلى مكان يعرف بالموردة فاصل بين ذلك وبين زاوية الشيخ إبراهيم الصائغ وإلى بركة الفيل والحد الشرقى ينتهى إلى بركة الفيل ، والحد الغربى ينتهى إلى الطريق العظمى [٣] .

وقد ذكر المؤرخون أنه فى يوم الاثنين ٢٦ صفر ٨٢٦ هـ قد قدم إلى القاهرة الأمير إينال النوروزى [٤] واستقر بها "أمير مجلس" ونزل فى الدار التى تقابل الكبش على بركة الفيل [٥] .

ويبدو لى أن هذه الدار هى دار أحمد شاد الشرابخاناه التى سكنها كل من جقمق وإينال قبل أن يتسلطنا ، وكانت هذه الدار مخصصة لمن يلى وظيفة كبرى فى دولة المماليك مثل وظيفة أمير المجلس وهو المشرف على ترتيب مجلس السلطان وتدبير أمر حراسته وغير ذلك من المهام [٦] ولذلك

= برقوق ومن خواصه وأعيان دولته ، وتولى فى زمنه وفى زمن الناصر فرج عدة وظائف هامة حتى مات ليلة الاربعاء ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٨١٢ هـ . انظر: ابن تغرى برد ى، المنهل الصافى ، جـ٢ ، ص٤٦٥ ـ ٤٦٦ .

(١) هذه الفتنة كما رواها "ابن اياس" سببها أن مملوكاً من مماليك على باى تعرض لجارية من جوارى الأمير اقباى الطرنطاى الذى كان ساكناً بجواره فقبض أقباى على هذا المملوك وضربه أربعمائه عصاه ، فاشتكى على باى للسلطان برقوق عساه أن يثأر لمملوكه من الأمير أقباى ، ولكن السلطان لم يفعل شيئاً ، فاضمر فى نفسه الغل والانتقام ودبر المؤامرة التى فشلت وأدت إلى موته . انظر : بدائع الزهور ، جـ١ ، ق٢ ، ص٥٠٥ ـ ٥٠٦ .

(٢) ذكر "ابن اياس" انه فى صفر سنة ٨٠١ هـ قامت فتنة بين الأمراء وأراد بعضهم القبض على سودون بقجة وكان ساكناً على بركة الفيل ، ولما أرادوا مسكه رمى نفسه من الطاقة إلى البركة وهرب واختفى " . بدائع الزهور ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٦٤٠ ـ ٦٤١ .

(٣) كتاب وقف السلطان برسباى رقم ٨٨٠ أوقاف ، ص ١٢٥ ، سطور ١ـ ٥ . أحمد دراج ، حجة وقف السلطان برسباى ، نشر المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٦٣، ٢٤ .

(٤) هو الأمير سيف الدين اينال بن عبدالله النوروزى ، أصله من مماليك الأمير نوروز الحافظى المتغلب على دمشق ودواداره ، ثم انتقل بعد قتل استاذه لخدمة السلطان المؤيد شيخ وترقى إلى ولى نيابة غزة ثم انتقل إلى نيابة حماه ، وفى أوائل سلطنة الأشرف برسباى تولى نيابة طرابلس، ثم أستدعى إلى القاهرة وانعم برسباى عليه بامره مائة وتقدمه ألف ثم استقر أمير مجلس ثم أمير سلاح واستمر بها إلى أن توفى فى أول ربيع آخر سنة ٨٢٩هـ ومن المعروف أنه كان زوج أخت المؤرخ ابن تغرى بردى . انظر : ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ٣ ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ ، ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ٣ ، ص١١١

(٥) ابن الصيرفى نفسه ص٢٤ ، العينى ، عقد الجمان ، (نشر الزهراء) ، ص١٩٩ ـ ٢٠٠

(٦) عن هذه الوظيفة بالتفصيل انظر : حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جـ١ ، ص٢٥٩ ـ ٢٦٤ .

كانت هذه الدار قريبة من القلعة . وقد رأينا مثل ذلك الأمر فى سكن من يتولى وظيفة الأمير اخور بغربى البركة . [١]

ويبدو أن هذه الدار قد سكن بها أيضاً الأمير يونس الدوادار المتوفى فى رمضان ٨٦٥ هـ [٢] حيث ذكر ابن تغرى بردى أنه فى يوم الأحد ٢٥ جماد الآخرة سنة ٨٦٠ هـ ركب الدوادار يونس من قاعة ابن قطينة بساحل بولاق بعد أن أقام بها مدة توعك كان به وتوجه الى بيته تجاه الكبش على بركة الفيل . [٣]

جـ - العمارة بالجانب الغربى للبركة :

عمر الجانب الغربى للبركة فيما بينها وبين الخليج المصرى وقد كثفت تلك المنطقة بالعمائر نظراً لموقعها المتميز فحفلت بالخطط والدروب فى العصر المملوكى وأهمها خط قبو الكرمانى [٤] الذى عمر زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون .

وقد ذكر «المقريزى» هذا الخط لما تكلم على قنطرة آق سنقر فقال : «أن هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل إليها من خط قبو الكرمانى ومن حارة البدبعيين التى تعرف اليوم بالحبانية» [٥]

ولما تكلم على جامع بشتاك قال «هذا الجامع خارج القاهرة بخط قبو الكرمانى على بركة الفيل» [٦] .

---

(١) انظر ما يلى ، ص ١٧٧ ، حاشية (١) .
ومما يذكر فى هذا الشأن أيضاً ارتباط السكن بالوظيفة نقول أن قصر واسطبل الامير قوصون الذى كان مجاوراً لمدرسة السلطان حسن والذى جدد عدة مرات والباقى منه الآن الاثر رقم ٢٦٦ ، كان مخصصاً لكل من يلى وظيفة الأتابك وذلك لقربه من القلعة ، وظل على ذلك حتى انتقل سكن الأتابكى إلى الأزبكية حين خصص قصر أزبك لهذا المنصب . كما أن دار منجك بسوق السلاح خصص لمن يلى وظيفة أمير السلاح . انظر : ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ٩ ، ص ١٢١ . ، محمد رمزى ، تعليقه على نفس الجزء ، ص ١١٠ - ١١١ ، محمد حسام ، أربعة بيوت مملوكية من الوثائق العثمانية ، بحث فى مجلة حوليات اسلامية ، المجلد ٢٤ سنة ١٩٨٨ ، ص ٨٨ .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ، ص ٤٧٢ .

(٣) حوادث الدهور ، جـ ٢ ، ص ٤٧٢ .

(٤) الكرمانى هو الأمير طقز دمر الحموى الكرمانى نائب السلطنة بديار مصر ودمشق فى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون ، وقد عاصر أيضاً أربعة من أبنائه ، وكان له حكر بالجانب الغربى للخليج فبنى قنطرة ليتوصل اليه ، وكان لطقز دمر دار مطلة على بركة الفيل محلها الآن المدرسة الخديوية ، وقد مات طقز دمر فى ليلة الخميس مستهل شهر جمادى الآخرة سنة ٧٤٦ هـ . انظر .
المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١١٦ ، ١٤٧ .

(٥) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

(٦) الخطط ، جـ ٢ ص ٣٠٩ .

وبما أن حارة الحبانية وجامع بشتاك المعروف بجامع مصطفى باشا فاضل لا يزال موجودين بشارع درب الجماميز ، يتبين من ذلك أن خط قبو الكرمانى كان واقعاً شرقى الخليج ومكانه اليوم شارع درب الجماميز فى المسافة بين سكة الحبانية وبين حارة السادات .[١]

ومن أهم العمائر الدينية التى بنيت على الشاطىء الغربى لبركة الفيل خانقاة وجامع الأمير بشتاك الناصرى [٢] بخط قبو الكرمانى محصورين بين الشاطىء الغربى للبركة والشاطىء الشرقى للخليج ، فقد أنشأ الخانقاه على شاطىء الخليج الشرقى واحتفل بافتتاحها فى أول شهر ذى الحجة سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م ، وقرر فيها عدد من الصوفية وأجرى لهم الخبيز والطعام فى كل يوم واستمر ذلك مدة [٣] ، وقبالتها بدأ فى بناء جامعة على شاطىء البركة فى رمضان ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦م ،وفرغ من بنائه فى شهر شعبان سنة ٧٣٧ هـ أو فى شهر ذى الحجة فى رواية أخرى [٤] .

ومما لا شك فيه أن ذلك الجامع وتلك الخانقاة كانا من أعظم العمائر روعة وجمالاً ويدل على

---

(١) أطلقت مصلحة التنظيم اسم قبو الكرمانى على حارة بشارع سويقة السباعين فى بر الخليج الغربى فى حين أن خط قبو الكرمانى كان واقعاً فى بر الخليج الشرقى . انظر :
محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ١١ ، ص ٢٧٤ .

(٢) هو الأمير سيف الدين بشتاك أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون وعظيم دولته ، وقد رقاه الناصر إلى أعلى رتبة فى رتب المماليك وهى أمير مائة مقدم ألف ، وولاه عدة وظائف هامة بالدولة ، وفى سنة ٧٣٣ هـ أضيف إلى أملاكه وثروته اقطاع وأملاك الأمير بكتمر الساقى حتى أنه تزوج امرأته ، ومن الطريف أنه كان بين الأمير بشتاك وبين الامير الاتابكى قوصون منافسة شديدة فى كل شىء حتى فى العمائر ، فقد كان قوصون قد اشترى قصر بيسرى بالشارع الأعظم على يسار المتجه إلى باب الفتوح فبنى بشتاك مقابله قصراً عظيماً فأحيا اسم بين القصرين من جديد ، وعقب وفاة السلطان الناصر محمد احتدم الصراع والتنافس بين الأميرين وانتهى بالقبض على بشتاك واعتقل بالاسكندرية وقتل هناك فى ربيع آخر ٧٤٢ هـ وقد كان واسع الثراء حتى أن اقطاعه كانت عبرته مائتى ألف دينار فى السنة ، وكان له منشآت معمارية عديدة أهمها قصره الذى لا يزال موجوداً بين القصرين (أثر رقم ٣٤) ، والجامع والخانقاة ببركة الفيل (أثر ٢٠٥) والحمام بسوق السلاح (أثر.رقم ٢٤٤) . أنظر : المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٤ - ٣٥ ، السلوك ، جـ٢ ، ٦١٤ . ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ٢٠، المنهل الصافى ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ - ٣٧٢ . ، ابن حجر العسقلانى ، الدرر الكامنة ، جـ١ ، ص ٤٧٧ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ٤١٩ .

(٤) الشجاعى ، تاريخ الملك الناصر ، ص ١٢ - ١٣ . ، المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٠٩ . ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٢٣ .

* ومن الملاحظ أن المؤرخ «ابن اياس» قد أخطأ فى نسبة الجامع فنسبه إلى الأمير بشتاك العمرى وهذا الخلط لتشابه الاسم فقد قال «فى شهر رمضان سنة ٧٧٠ هـ كانت وفاة الأمير بشتاك العمرى رأس نوبة النوب وهو صاحب الجامع المطل على بركة الفيل بالقرب من قنطرة سنقر » ، انظر : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق٢ ، ص ٨٦ .

* ومن الملاحظ أن ابن اياس أخطأ كذلك فى تاريخ وفاة بشتاك العمرى فذكر أنه فى رمضان سنة ٧٧٠ هـ ولكن الصحيح أنه توفى فى سنة ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م .
أنظر : ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ ٣ ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

ذلك آثار بشتاك الباقية وهى قصره بين القصرين (اثر رقم ٣٤) وكذلك مدخل حمامه بسوق السلاح (اثر رقم ٢٤٤) ويؤيد ذلك ما يقوله «المقريزى» عن الجامع بأنه «من أبهج الجوامع وأحسنها رخاماً وانزهها وأدركناه إذا قويت زيادة ماء النيل فاضت بركة الفيل وغرقته فيصير لجة ماء» [١] .

ومن العمائر الدينية أيضاً بالجانب الغربى من البركة خانقاة سعد الدين بن غراب [٢] اثر رقم ٣١٢، وقد أنشأها سنة (٨٠٣ هـ - ٨٠٨ هـ / ١٤٠٠ - ١٤٠٦ م) ، وهى تطل مباشرة على بر الخليج الشرقى ، وهى تقع غربى جامع بشتاك بشارع درب الجماميز [٣] ، وكان لابن غراب أيضاً دار بالقرب من خانقاته كانت تطل على بركة الفيل . [٤]

ومن العمائر الدينية التى بنيت فى الجانب الغربى للبركة مدرسة (جامع) قراقجا الحسنى [٥] (أثر رقم ٢٠٦) الذى بنى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م وأوقف قراقجا عليه أوقافاً عديدة وقد ذكر فى وثيقة

---

(١) الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٠٩ .

* تم تجديد الجامع فى سنة ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م بأمر الأميرة ألفت هانم قادن والدة مصطفى باشا فاضل أخى الخديوى اسماعيل ، ولم يتبق من الجامع الأصلى سوى مئذنته العالية الرشيقة الحافلة بالنقوش والكتابات ، وكذلك تبقى بوابته الأصلية ، أما الخانقاة فقد اندثرت وأقامت الأميرة ألفت هانم سبيلاً مكانها سنة ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ م بشارع درب الجماميز انظر بالتفصيل : المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٠٩ ، ٤١٩ . ، محمد رمزى ، تعليقه على النجوم ، جـ٩ ، ص ٢٠٨ . ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٩١ - ٩٢ ، جـ ٤ ، ص ١٣٧ ، جـ ٦ ، ص ١٤١ . ، حسن بعد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ص ١٤٣ - ١٤٦ . ، سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ - ٢١٣ .

(٢) هو القاضى سعد الدين ابراهيم بن عبد الرازق بن غراب الاسكندرانى ، ينتمى إلى اسرة قبطية ، وقد تولى عدة وظائف هامة منها ناظر الخاص وناظر الجيوش واستادار السلطان وكاتب السر ، وكان أحد الأمراء مقدمى الألوف الاكابر فى الدولة ، وقد لعب دوراً كبيراً فى دولة المماليك الجراكسة ، وقد توفى يوم الخميس ١٩ رمضان ٨٠٨ هـ ولم يبلغ الثلاثين عاماً .
أنظر : المقريزى ، جـ ٢ ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

(٣) ذكر «على مبارك» خانقاة ابن غراب أنها كانت كبيرة الحجم ولم يبق منها فى زمنه إلا ايوان واحد وبها سبيل مهجور وقد جعلت زاوية مقامة الشعائر . انظر :
الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٩٢ ، جـ ٦ ، ص ٨٥ ، ٨٦ ، ١٣٩ .
وعنها انظر : سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٤ ، ص ٧٧ - ٨١ .

(٤) المقريزى ، السلوك ، جـ ٣ ، ص ١١٧١ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق٢ ، ص ٧٣٤ .

(٥) قراقجا هو سيف الدين قراقجا عبدالله الحسنى الظاهرى امير اخور كبير ، من كبار الأمراء الذين لعبوا دوراً كبيراً فى تاريخ دولة المماليك الجراكسة ، وقد توفى بالطاعون فى يوم ١٨ صفر ٨٥٣ هـ ، وعنه بالتفصيل انظر :
السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٦ ، ص ٢١٦ . ، ابن تغرى بردى ، النجوم ، جـ ١٥ ، ص ٣٩٠ . ، عبد اللطيف ابراهيم ، وثيقة الأمير اخور كبير قراقجا الحسنى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٨ ، الجزء الثانى ، ديسمبر ١٩٥٦ . ،
عن المدرسة بالتفصيل ، انظر : سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٤ ، ص ١٣٤ - ١٤٢ .

قراقجا أن موقع الجامع بظاهر القاهرة المحروسة خارج بابى زويلة والخرق بخط المسجد المعلق [١] بدرب الغنامة على يمنة السالك من درب النيدى وغيره وعلى يسرة السالك من جامع بشتاك طالباً درب النيدى وغيره [٢] ، كما ذكر أيضاً أن حد الجامع القبلى كان ينتهى إلى حوش خراب يعرف بالغور والحد البحرى كان ينتهى إلى الطريق السالك والحد الشرقى إلى زقاق والحد الغربى ينتهى إلى الزقاق المتوصل منه إلى درب النيدى [٣] .

ومما سبق يتبين أن درب النيدى هذا يمثله الآن شارع درب الجماميز وكان يمثل الحد البحرى (الشمالى الغربى) للجامع ، أما الحد القبلى (الجنوبى الشرقى) الذى كان ينتهى إلى حوش يعرف بالغور فيمثل موقعه الآن مدرسة الشيخ صالح ، أما الزقاق الذى بالحد الشرقى فيمثله اليوم حارة السادات ، وكان الحد الغربى ينتهى الى زقاق غير موجود حالياً .

كما أنشأ قراقجا أيضاً مسجداً صغيراً أشبه بزاوية وكذلك سبيلاً وكتاباً على الجانب الآخر من الشارع أمام المدرسة (الجامع) ، كما الحق بتلك المنشآت حوانيت عديدة [٤] وكان السبيل موجوداً حتى نهاية القرن الماضى [٥] .

كما كان لقراقجا دار كبيرة [٦] مجاورة لمدرسته كانت تطل على بركة الفيل آلت ملكيتها

---

(١) المسجد المعلق هو المرتفع مدخله عن مستوى أرضيه الطريق ، ولعل هذا المسجد هو المنسوب إلى سيف الدين اسنبغا حارس الطير الذى تولى نيابة السلطنة فى أيام الناصر حسن بن قلاوون ، وكان هذا المسجد بدرب الجماميز الذى كان يعرف بدرب قراقجا الحسنى (على حد قول وثيقة قانى باى الرماح رقم ١٠١٩ أوقاف) على رأس درب النيدى، وقد تجدد بعد سنة ٨٠٠ هـ ، انظر : المقريزى ، الخطط جـ ٢ ، ص ٣٣١ . ، عبداللطيف ابراهيم ، المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(٢) عبداللطيف ابراهيم ، المرجع السابق ، ص ١٩٩ ، سطور ١٠ - ١٣ (٣) نفسه ، ص ٢٠٣ ، سطر ٤٦ - ٤٩ .

(٤) نفسه ، ص ٢٠٣ .

(٥) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٥ ، ص ١٧ .

(٦) فى وثيقة قراقجا رقم ٧٤٨ أوقاف المؤرخة بأول شعبان ٨٤٥ هـ . ذكر لقاعة كبرى ذات ايوانين متقابلين فيما بينهما دور قاعة ، وكانت تطل على بركة الفيل وذكر أن الحد القبلى ينتهى إلى بركة الفيل والحد البحرى كان ينتهى إلى حوش يعرف بابن ارج وغير ذلك ، والحد الشرقى ينتهى إلى مقر السيفى جانم اميراخور وإلى البركة والحد الغربى ينتهى إلى ملك السيفى مغلباى عبدالله الخاصكى وغير ذلك .

* وهذه الوثيقة التى استشهدت بها غير الوثيقة رقم ٩٢ أوقاف والتى نشرها د . عبداللطيف ابراهيم .

فـى نهايـــة العصـــر المملوكى إلى الأميـــر قانى باى الرماح [١] ، ومحـل هذه الدار الآن مـدرسة الشيخ صالح [٢] .

ومن أهم العمائر المدنية التى كانت تحد الشاطىء الغربى لبركة الفيل فى العصر المملوكى دار الأمير طقز دمر والتى نزل بها السلطان غياث الدين أحمد ضيفاً على السلطان الظاهر برقوق هرباً من تيمور لنك [٣] . وكانت هذه الـدار تقع بالمنطقة التى تشغلها الآن مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية (الميرية سابقاً) [٤] .

ومـن القصـور الهامة التى كانت تطـل على الشاطىء الغربى لـلبركة قصر فاطمة الخـاصبكية [٥] زوجـة السـلطـان قايتبـاى ، وكـان قصـراً كـبيـراً كامل المرافق والمشتملات ، وكـان ملحق به حمام كبير وحـديقة وغير ذلك وذكـر بوثيقتها رقـم ٧٠٧ أوقاف أن القصر يقـع بخط قنطرة سـنقر بدرب البرناق وكان يطل على بركة الفيل مباشرة ، وكـان حده البحرى ينتهى إلى الطريق المسلوك وهو درب

---

(١) عبداللطيف ابراهيم ، الوثائق فى خدمة الآثار ، (كتاب دراسات فى الآثار العربية) ص ٤٣٦ . سامى عبدالحليم ، اثار الامير قانـى باى قرا الرماح بالقاهرة ، دكتـوراه «غير منشورة» (كلية الآداب ، جامـعة القاهرة ، ١٩٧٥) ص ٤٤، ٤٥ ، ٧٨ ، ٣٠٤ .

* ومن الجدير بـالذكر هنا أن د . عبدالـلطيف ابراهيم ربط بـين سكن الأميرين قراقـجا الحسنى وقانى بـاى بتلك المنطقـة على بركة الفـيل وبين وظيفة كل مـنهما وهى وظيـفة أميراخور كبيـر أى المشرف على اصطـبلات وخيول السلطان والتى ذكر المؤرخون أنها كانت توجد على بركة الفيل وفى الرميلة . انظر :
الوثائق فى خدمة الآثار ، ص ٤٠٠ .

(٢) توارث الأمراء سكنـى هذه الدار فى العصر العثـمانى حتى آلت فى النهـاية الى الويزر رب الـسيف والقـلم محمود سامى البارودى ، ثم اقيمت بـها مدرسة الشـيخ صالح بعد ذلك انظر : على مبارك ، الخـطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٩٥ . ، عبداللطيف ابراهيم ، الوثائق فى خدمة الآثار ، ص ٤٧٦ .

(٣) كان السـلطان غياث الدين أحمد بن أويس يحكم العراق ابتداءاً من سـنة ٧٨٤ هـ وفر من أمام تيمور لنك سنة ٧٩٥ هـ فاستضافه السـلطان الظاهر برقوق بمصر وأنزله بدار طـقز دمر على بركة الفيل ، وظل فى صراع كبير على حكم العراق وايران حتى قتل سنة ٨١٣ هـ . انظر :
المقريزى ، السـلوك ، جـ ٤ ، ص ١٧١ . ، ابن تغـرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ ١ ، ص ٢٤٨ - ٢٥٦ . ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٣ ، ص ١٨١ . ، ابن حجر العسقلانى ، انباء الغمر ، جـ ٢ ، ص ٤٥٩ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ . ، ابـن دقماق ، الجوهر الثمين ، جـ ٢ ص ٢٩ . ، ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٢١١ .

(٤) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ١ ص ١١٣ .

(٥) هو خوند فاطـمة ابنة العلاء من خاص بـك ، كانت زوجة الملك الأشرف قايـتباى ، ثم تزوجت بعد وفـاته الملك العادل طومان باى ، وكانت من مشـاهير النـساء فى العصر المملوكى ، وكان لها كلمـة مسموعة لمدة ثلاثين سنة ، وقد تعرضت فى أواخر أيامها لبعض الشدائد والمحن ، وقد توفيت يوم الأربعاء ٢٢ ذى الحجة ٩٠٩ هـ . انظر :
ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٦٤ .

الجماميز الآن ، وكان حده الشرقى ينتهى الى سويقة والى بيت يعرف بالأمير محمد نقيب الجيش[١]، والحد الغربى ينتهى الى بيت السلطان قايتباى [٢] .

ومحل القصر الآن داخل حدود المدرسة الخديوية [٣] .

ومن الملاحظ أن قصر فاطمة الخاصبكيه قد صار من ضمن أوقاف السلطان الغورى [٤] ، وكذلك الحوانيت التى تقع شمال القصر والتى كانت من أوقافها أيضاً [٥] .

أما الأمير قانى باى الرماح [٦] فقد امتلك كما ذكرت من قبل دار قراقجا الحسنى فجددها وأضاف

---

(١) ذكر على مبارك أن هذه الدار صارت فى زمنه بيد ورثة على برهان باشا أخى راتب باشا الكبير ، وقد دخلت فى حدود المدرسة الخديوية ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٩٧ .

(٢) ورد فى كتاب وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٦ أوقاف ص ٢٩٤ - ٢٩٥ أنه وقف على زوجته فاطمة الخاصبكية هذا المكان والأبنية الثلاثة بخط قنطرة آق سنقر داخل درب يعرف بالبرناق المطل على بركة الفيل وذلك فى حياتها وبعد وفاتها يصرف ريع ذلك على مدرسته وتربته بالصحراء .

(٣) يستفاد مما ذكره الجبرتى وعلى مبارك أن هذا القصر تنقل بين الأيدى إلى أن انتقلت ملكيته إلى الأمير يوسف بك الجزار فى سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م وظل به حتى مات سنة ١١٣٤ هـ / ١٧٢٢ م فسكنه من بعده اسماعيل بك بن ايواظ بك فجدده وصرف عليه أموالاً طائلة وزخرفة بالرخام وعمره عمارة عظيمة وظل به حتى قتل سنة ١١٣٦ هـ / ١٧٢٣ م فتخرب من بعده ، ثم بعد مدة كبيرة أنشأ فى مساحة القصر الأمير سامى باشا المرلى داراً كبيرة بعد أن اشترى الأحواش التى بجانبها ووسعه بها ، وبعد مدة اشتراها الأمير مصطفى فاضل أخى الخديوى اسماعيل فبناها بناءاً جديداً وغرس بها بستاناً عظيماً ، ثم دخلت فى أيام على باشا مبارك للمعارف إلى أموال الدولة وجعل بها ديوان المعارف ولما تولى نظارة الأوقاف نقل ديوان الأوقاف بها مع ديوان المدارس وجعل بها كتبخانة قبل انتقالها الى مبناها الحالى بميدان باب الخلق ، ثم بنى مكانها أبنية المدرسة الخديوية الثانوية الآن . انظر:

على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٩٧ - ١٠٠ .

(٤) كتاب وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٢ أوقاف .

*وربما أجبر الغورى خوند فاطمة الخاصبكية على التنازل عن أملاكها ومنها هذا القصر ولم تغير حدوده عما ذى قبل ، فقد ورد فى ص ٩٨ أن حده القبلى كان ينتهى إلى بركة الفيل ، والبحرى إلى زقاق غير نافذ داخل درب البرناق ، والحد الشرقى لبيت المرحوم قانصوه . وكان يعرف بوقف خشقدم ، والحد الغربى ينتهى لمكان يعرف بكاتب الجراية .

(٥) عن الأصول الوثائقية ووصف تلك الحوانيت انظر : عوض الامام ، الاصول الوثائقية الجامعة لأوقاف السلطان الغورى ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٦) عن ترجمته بالتفصيل انظر : سامى عبدالحليم ، آثار الأمير قانى باى قرا الرماح بالقاهرة «دكتوراة» .

إليها [١] ، كما اشترى عدة أماكن بجوار هذا البيت وأقام مكانها بيتاً نُعت بالبيت الكبير [٢].

د - العمارة بالجانب الشمالى لبركة الفيل :

عرفت العمارة طريقها شمال وشمال شرق بركة الفيل فى العصر الفاطمى حيث اختطت حارة المصامده وحارة الهلالية وحارة البديعيين التى عرفت فيما بعد بحارة العيدانية ، إلا أن تلك الحارات تخربت زمن الأيوبيين وجعلت أراضيها بساتين .

وفى العصر المملوكى اختطت حارة الحبانية مكان حارة العيدانية ، وكان يتوصل اليها من تجاه قنطرة سنقر ، وكان بعض دورها يشرف على بستان الحبانية الذى أوقفه صلاح الدين الأيوبى على خانقاه سعيد السعداء وبعضها يطل على بركة الفيل [٣] ، وكانت تلك الحارة تصل بين شارع درب الجماميز إلى شارع الداودية [٤] .

ويبدو أن شمال بركة الفيل احتفظ لوقت كبير فى العصرين المملوكى والعثمانى بالبساتين ولم تكثف به العمارة كالجانب الغربى للبركة [٥] .

ومن أهم العمائر الدينية التى بنيت بحارة الحبانية وكانت تطل مباشرة على بركة الفيل مدرسة زين الدين الاستادار (أثر رقم ٢٠٤) التى انتهت عمارتها فى جمادى الآخره سنة ٨٥٦ هـ / ١٤٥٢ م وقد قرر بها حضور ومتصوفة [٦] .

وكان للسلطان الغورى دار كبيرة شمال شرق البركة بحكر اقوش الموصلى بالقرب من جامع قوصون [٧] وكانت هذه الدار تطل مباشرة على البركة وقد ذكر أن حدها القبلى كان ينتهى الى

---

(١) ذكر فى وثيقة قانى باى «أن الحد القبلى ينتهى بعضه إلى قاعات تعرف بالمقر الاشرفى يونس أمير نقيب الجيوش المنصورة ، وبعضه إلى بيت قانى باى الكبير ، وبعضه إلى بركة الفيل ، واحد البحرى ينتهى إلى زقاق ، والحد الشرقى إلى فسحة بها أصل جميز وبعضه إلى بناء يعرف بالسيفى شاد بك ومطل على البركة أيضاً ، والحد الغربى إلى زقاق فاصل بينه وبين اسطبل قانى باى أيضاً وإلى أماكن تخص قانى باى وإلى البركة .
أنظر سامى عبدالحليم ، المرجع السابق ، ص ٣١٧ - ٣١٨ ، سطور ٥٠٧ - ٥١٤ .

(٢) ذكر أن هذا البيت يقع بدرب أرغون شاه بدرب النيدى وكان حده القبلى ينتهى الى بركة الفيل والحد البحرى ينتهى الى بناء قديم والحد الشرقى كان بعضه ينتهى الى بيت يعرف بسكن قانى بردى وبعضه الى البيت الآخر له ، والحد الغربى إلى مقام سيدى عبدالله وسكن ثمر بغا وسكن فان بردى وتتمه الى بركة الفيل . انظر :
سامى عبدالحليم ، المرجع السابق ، ص ٣٠٣ ، سطور ٣٩٨ - ٤٠٢ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦ ، ٢٠ .

(٤) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٢٤٥ .

(٥) نفسه :

(٦) ابن تغرى بردى ، حوادث الدهور ، جـ ١ ، ص ١٢٩ . ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ٢٩٥ .

(٧) كانت هذه الدار قديمة اشتراها السيفى تانى بك بن عبدالله بن يشبك أمير خازندار كبير فى صفر ٩٠٧ هـ / ١٥٠١م ثم باعها للسلطان الغورى . انظر :
الوثيقة رقم ٥٦١ جـ / أوقاف ، عوض الامام ، المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

الطريق ، والحد البحرى ينتهى الى بركة الفيل ، والحد الشرقى كان ينتهى إلى مكان يعرف قديماً بالغرسى خليل والحد الغربى ينتهى إلى مكان يعرف قديماً بورثة الأمير أقوش [١] ، وموضع الدار الآن مبانى تطل على شارع محمد على .

العمارة حول بركة الفيل فى العصر العثمانى :

ازداد العمران على بركة الفيل فى العصر العثمانى ، وتناقصت مساحة البركة مع الزمن بفعل اقامة البيوت مكانها ، وكانت منطقة بركة الفيل هى المكان المفضل لسكنى الطبقة الارستقراطية فى ذلك الوقت [٢] .

وقد ذكر البكرى (ت ١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦ م) أن البركة فى زمنه فى غاية العمارة وهى مسكن أمراء الدولة العثمانية وكلما تقادم الزمن ازدادت عمارة [٣] ، ففى القرن ١٠ هـ / ١٦ م كان يسكن بها ٢٠٪ من عدد أفراد الطبقة الارستقراطية [٤] ، وحتى منتصف القرن ١١ هـ / ١٧ م كان يوجد بمنطقة بركة الفيل ٣٣٪ من المجموع الكلى للطبقة الارستقراطية [٥] ، ومن منتصف القرن ١١ هـ / ١٧ م حتى منتصف القرن ١٢ هـ / ١٨ م كان يسكن على شاطىء البركة ٤٠ ٪ من عدد كبار الشخصيات فى مقابل ١٧ ٪ ببداية القرن ١٠ هـ / ١٦ م .[٦]

ومن أوساط القرن ١٢ هـ / ١٨ م بدأ البكوات يتركزون حول كل من بركة الفيل وبركة الأزبكية وهما أوسع برك القاهرة واكثرها امتلاءاً بالماء - مصدر انتعاشهم - فى معظم أوقات السنة ، إذ بلغت نسبتهم هناك ٥٣ ٪ فيما بين سنتى ١١٦٩ هـ و ١٢١٣ هـ / ١٧٥٥ و ١٧٩٨ م ، وارتفعت الى ٥٨٪ عام ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م [٧] .

---

(١) كتاب وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ ق أوقاف ، ص ٩٠ . ، الوثيقة رقم ٥٦١ جـ أوقاف ، عوض الامام ، المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٢) المقصود بكلمة ارستقراطى وارستقراطية أفراد الطبقة الحاكمة فى مصر وهم كبار الشخصيات المملوكية عند نهاية دولة المماليك الجراكسة ومنهم صفوة المماليك «بكوات وكشاف» وكذلك ضباط الاوجاقات فى العصر العثمانى وهى طبقة دخيلة فى مقابل الشعب المصرى الخاضع لهم من برجوازية وطنية (المشايخ وكبار التجار والطبقات الشعبية) . اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية ، ص ٢١٣ .

(٣) قطف الأزهار من الخطط والآثار ، مخطوط ، ورقة ١٥٤ .

(٤) اندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٥) نفسه ، هامش ٢١٥ .

(٦) نفسه ، ص ١٧٩ .

(٧) عند نهاية القرن كان كل واحد من البكوات الذين كانت لهم حرية واسعة فى الاختيار بين عدة بيوت يمتلك على الاقل داراً فى ضواحى بركة الفيل وعادة حى قوصون وأخرى فى الازبكية وعلى سبيل المثال كان لعلى بك الكبير ثلاثة بيوت ولمحمد بك أبو الدهب اثنان ولاسماعيل بك اثنان أما مراد بك فكان له ستة بيوت ، وكان لمحمد =

وقد حفل الشاطىء الشرقى للبركة بكثير من دور الأمراء فى العصر العثمانى وهذه الدور تعود أغلبها للعصر المملوكى فكانت تجدد أحياناً أو تبنى من جديد محل دور قديمة ، وقد وقع بخريطة الحملة الفرنسية كثير من هذه الدور ، وكان كثير منها يقع بزقاق حلب الذى كان يمثل درباً نافذاً متصلاً بشارع الداوادية وشارع الحبانية ، وقد عرف زمن الحملة بعطفة (زقاق) مراد بك [١] ، وكانت تسمى الطريق باسمه لوقوع بيته الكبير به ، وكان هذا البيت يشرف على رحبة مربعة تقرب مساحتها من ٦٠ × ٦٠ متراً ، وكانت الرحبة على بعد خمسين متراً من شارع الحلمية [٢] .

وكان يجاور بيت مراد بك بيت منافسه الأمير ابراهيم بك الكبير [٣] شيخ البلد وكان هذا البيت كبيراً جداً [٤] وكان بجواره بيت أبنه مرزوق بك [٥] ، الذى سكنه بعد موت صاحبه الأمير عبدالرحمن بك [٦] ، وكان يوجد حمام يعرف بحمام ابراهيم بك فى مقابل بيته وهو الذى كان يعرف زمن المقريزى باسم حمام قمارى [٧] ، وكان يوجد بجوار بيت مرزوق بك بيت الأمير سليمان

= بك الالفى العدد نفسه ولمرزوق بك أربعة ولابراهيم بك خمسة . انظر :
ريمون ، فصول ، هامش ص ٢٦ ، عبدالرحمن زكى ، خطط القاهرة أيام الجبرتى ، (بحث فى كتاب عبدالرحمن الجبرتى لمجموعة باحثين) ، (نشر الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٦) ص ٤٨١ .

(١) أنظر ترجمته بالتفصيل فى ص ٦٧ .

(٢) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

* وقد وقع هذا البيت فى خريطة الحملة برقم ٨٨ ، فى المربع 7 - Q .

(٣) هو ابراهيم بك المحمدى ، كان من مماليك محمد بك ابى الذهب ، وقد تولى بعد موته مشيخة البلد ورياسة مصر فى سنة ١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م وظل بها مدة طويلة ، وعند مجيء الحملة الفرنسية هرب الى دنقلة بالسودان وبها مات سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٥ م وجيء بجثته الى مصر فدفن بالامام الشافعى .
الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٥٣٧ - ٥٣٨ . ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٤) وقع بخريطة الحملة الفرنسية برقم ٨٩ ، فى المربع Q-8 .

(٥) وقع برقم ٩٠ ، فى المربع Q-8 .

* كانت هذه البيوت قد دخلت فى جنينة سراى الحلمية ولما قسمت أرض الحديقة حل محلها الآن عمارات سكنية حول شارع مهذب الدين الحكيم .

(٦) توفى عبدالرحمن بك سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م ، انظر ترجمته فى :
الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ١٥١ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ١٥١ .

(٧) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ .

* وقد وقع الحمام برقم ٩١ ، فى المربع Q-8 .

بك الشابورى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م [١] ، وكان يليه بيت قاسم بك المتوفى سنة ١٢١٥هـ / ١٨٠٠ م [٢] .

ومن البيوت التى كانت ببركة الفيل قريبة من شارع نور الظلام بيت اسماعيل بك بن محمد بك الدالى والذى عمل به فرح لولده واستمر خمسة عشر يوماً سنة ١١٤٧ هـ/ ١٧٣٤ م [٣] .

ومن القصور الكبيرة المملوكية الأصل والتى استمر السكنى بها فى العصر العثمانى قصر سكنه الأمير حسن كتخدا عزبان كان يقع بجوار مدرسة بشير الجمدار [٤] ، وكان قصراً كبيراً يحتوى على تكوينات معمارية كثيرة وذكر بالوثيقة أن حدوده كالتالى «الحد القبلى كان ينتهى لأماكن قديمة جارية فى وقف السلطان قايتباى والحد البحرى ينتهى بتمامه إلى بركة الفيل والحد الشرقى ينتهى إلى سكن ابراهيم بك وكتف باب الجامع القوصونى والحد الغربى الى أماكن قديمة وقف ذو الفقار بك [٥] .

وذكر الجبرتى أنه فى سنة ١١٩١ هـ / ١٧٧٧ م تقلد كاشفان لاسماعيل بك يسمى كل واحد منهما «عثمان» صنجقين وسكن أحدهما بيت مصطفى بك الذى كان سكن محمد بك طبل وهو على بركة الفيل بجوار جامع أزبك اليوسفى وهو الذى يسمى بعثمان بك طبل [٦] .

أما العمارة جنوب البركة حيث خط قناطر السباع بالجسر الأعظم فكان فى غاية العمران ، ومن الأبنية التى ورد ذكرها فى الوثائق العثمانية وكانت تطل على البركة قصر أمين الدين محمد كمال الدين بن زين الدين عرفات ، وكان هذا القصر يجاور مدرسة لاجين السيفى ، وكان حده القبلى ينتهى الى مدرسة لاجين السيفى والحد البحرى ينتهى بعضه الى البركة وبعضه الى مجاز سالك إلى الشارع الأعظم وأما الحد الشرقى فكان بعضه ينتهى إلى مكان يعرف قديماً بالاستادار ثم عرف بعد ذلك بالوزير سنان باشا وباقى الحد كان ينتهى إلى البركة والحد الغربى كان ينتهى إلى ربع مطل على الطريق وقف السيفى لاجين [٧] .

---

(١) انظر ترجمته فى : الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ، على مبارك ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ .
* وقع هذا البيت برقم ١١٠ ، فى المربع P - 8 .

(٢) انظر ترجمته فى : الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ٤٥٧ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية جـ ٢ ، ص ١٥١ . وقع هذا البيت برقم ١١١ فى المربع P-8 ، وقد دخلت بعض مساحة هذا البيت فى شارع محمد على حالياً .

(٣) أحمد شلبى ، أوضح الاشارات ، ص ٥٩٢ .

(٤) ورد فى وثيقة الأمير حسن كتخدا عزبان رقم ١٧٦ أوقاف المؤرخة بـ ٦ رمضان ١١٤٨ هـ أنه توارث سكنى هذه الدار افراد عديدين فقد كان المكان يعرف بسكن السيفى طرابای وبعده بالمرحوم سنان باشا الدفتردار وبعده بسكن رضا باشا بولاية الجيش وبعده بالمرحوم سيدى ابراهيم وبعده المرحوم .... بك وبعده بسكن المرحوم أحمد افندى الرونامجى وبعده بالمرحوم ابو بكر أغادار السعادة ثم عرف أخيراً بسكن الأمير حسن كتخدا عزبان .

(٥) نفس الوثيقة . (٦) عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٥٠٣ .

(٧) سجلات الشهر العقارى سجل ٥٥ م ، ص ٧٦ ، ٧٧ مادة ٢٩٢ محكمة الأحوال الشخصية .

أما الجانب الغربى للبركة فقد عمر خط درب الجمامين عمارة كبيرة مكان خط قبو الكرمانى ، واستمر السكن بالقصور والبيوت المملوكية من قبل أمراء الدولة العثمانية . (١)

وكان درب الجماميز المكان المفضل لسكنى أكابر الأمراء وخصوصاً فى القرن ١٢ هـ / ١٨ م ومن الأمراء الذين سكنوا درب الجماميز الأميران ابراهيم كتخدا القاذدوغلى ورضوان كتخدا الجلفى ، وهما الأميران المسيطران على مصر فى منتصف القرن ١٢ هـ / ١٨ م (٢) ، وكذلك من كبار الأمراء الذين سكنوا بدرب الجماميز الأمير أحمد كتخدا عزبان المعروف بأمين البحرين المتوفى سنة ١١٤١هـ/ ١٧٢٨ م (٣) ، وقد سكن فى بيت ابن ايواظ المطل على بركة الفيل بدرب السادات (٤) وقد شهد هذا البيت الكثير من الأحداث فى تاريخ مصر فى العصر العثمانى ، وقد أقام به بعض الباشوات الذين تولوا حكم مصر (٥) .

وكذلك كان للأمير سليمان أغا كتخدا الجاويشية بيت بدرب الجماميز وقد سكنه بعده الأمير على بك الدفتردار المتوفى ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م (٦) ، وكان بجواره بيت عبدالله أغا كتخدا الجاويشية (٧) .

ومن الدور الهامة بالجانب الغربى للبركة بيت السادة البكرية وقد زاره الرحالة النابلسى (٨) وهو البيت الذى استولى عليه الشيخ السادات وعرف به (٩) .

وفى أواخر شهر ذى الحجة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢ م شرع ابراهيم بك الكبير شيخ البلد زمن الحملة الفرنسية فى زواج ابنته عديلة هانم للأمير ابراهيم بك المعروف بالوالى أمير الحج سابقاً ، وعمر لها بيتاً مخصوصاً بجوار بيت الشيخ السادات من قبليه . (١٠)

---

(١) وثيقة الأمير حسين كتخدا عزبان رقم ١٧٦ أوقاف .

(٢) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٢٣ . ، اندريه ريمون ، فصول ، ص ١٨١ .

* وقد وقع بيت رضوان كتخدا تحت رقم ٢ فى المربع 9 - s بخريطة الحملة .

(٣) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٢٠٣ .

(٤) أحمد شلبى ، أوضح الاشارات ، ص ١٩٧ . ،

الدمرداش (أحمد الدمرداش كتخدا عزبان) ، الدرة المصانة فى أخبار الكنانة ، تحقيق عبدالرحيم عبدالرحمن ، (نشر المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٨٩) ص ٢٨٠ ، ٢٩٣ .

(٥) الدمرداش ، نفس المصدر ، ص ٥ . ، الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٤٨ .

(٦) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ٢٨٣ .

(٧) الدمرداش ، الدرة المصانة ، ص ٣٤٥ .

(٨) الحقيقة والمجاز ، ص ٢٥٩ .

(٩) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ، ص ٤٢٧ .

(١٠) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ص ١٣٦ - ١٣٧ . ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٩٥ .

وكذلك كان فى بحرى دار السادات دار على كتخدا الجاويشية [١] .

أما العمارة شمال بركة الفيل فقد نمت نمواً كبيراً فى آخر العصر العثمانى وصارت حارة الحبانية خطاً كبيراً حظى بسكن العديد من أثرياء الأمراء ، ومن الأمراء الذين ملكوا العديد من المنشآت حول المتنزهات ومنها بركة الفيل الأمير عثمان كتخدا [٢] فقد ورد بكتاب وقفة أنه كان له بيت بجوار المدرسة الزينية بالحبانية وكانت تطل على البركة من حدها الغربى [٣] .

ومن الدور التى كانت بحارة الحبانية ومطلة على بركة الفيل بيت الشيخ حسن بن حسين كنانى بن على المنصورى الحنفى [٤] .

وكان حى قوصون شمال شرق البركة المواجه لجامع قوصون أرقى أحياء البركة وتسكنه الطبقة الارستقراطية فى مصر ، وكان البكوات يفضلون الإقامة هناك ، ومن الدور الهامة التى ورد ذكرها بالمصادر العثمانية وحدد المؤرخ "أحمد شلبى" مكانها بحى قوصون على بركة الفيل دار عرفت بدار شكر بره أو فره [٥] . وقد توارث السكنى بها عدة أمراء منهم الأمير مصطفى بك ثم الأمير شاهين أحمد اغا المتوفى سنة ١٢٠٨هـ[٦] ، وكان تجاه هذا البيت بين الأمير صالح أغا [٧] ، وكذلك دار عمرها الأمير رضوان كتخدا ابراهيم بك المتوفى سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م ، وكانت هذه الدار تعرف بدار مكة على بركة الفيل [٨] .

وكذلك من البيوت التى ورد ذكرها أنها كانت ببركة الفيل ولم تحدد مواقعها بالضبط منزل عباس اغا [٩] ، كذلك منزل عبدالرحمن بك [١٠] ، وقاعة خليل افندى [١١] ، ومنزل غيطاس بك . [١٢]

---

(١) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٩٥ .

(٢) انظر منشآته كذلك على بركة الأزبكية ، ص٢٣٢ .

(٣) كتاب وقف الأمير عثمان كتخدا مستحفظان رقم ٢٢١٥ أوقاف والمؤرخ بيوم ١٠ ربيع الآخر سنة ١١٤٩ هـ ، ص١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٩٢ .

((٤) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص٤٤٩ .

(٥) أوضح الاشارات ، ص٥٤٧ ، ٦٣٠ .

(٦) أحمد شلبى ، أوضح الاشارات ، ص٥٤٧ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ . ، الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

(٧) أحمد شلبى ، أوضح الارشارات ، ص٥٩٤ ، الدمرداش ، الدرة المصانة ، ص٤٢٠ .

(٨) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٦٤٦ .

(٩) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ، ص٦٥ .

(١٠) أحمد شلبى ، أوضح الاشارات ، ص٥٣٥ .

(١١) أحمد شلبى ، اوضح ، ص٥٢٦ .

(١٢) الدمرداش ، الدرة المصانة ، ص٢٤٠ .

وقد تعرضت بيوت الأمراء على حافة بركة الفيل للتخريب زمن الحملة الفرنسية أثناء ثورتى القاهرة بها [1] ، ولكن سرعان ما رممت واصلحت فى زمن محمد على . ومن الآثار الجليلة التى بنيت فى عصره جامع حسن باشا طاهر [2] .

واستمرت بركة الفيل متنزهاً فى عصر محمد على ثم ردمت فى عهد عباس حلمى الأول (١٢٦٥ـ ١٢٧١هـ / ١٨٤٨ـ ١٨٥٤م) .

بركة الناصرية

الموقع والإنشاء :

لا تعتبر هذه البركة من البرك الطبيعية التى كانت منتشرة بالقاهرة ، ولكنها حفرت واستنبطت أيام الناصر محمد بن قلاوون ، وكان موقعها قديماً من جملة جنان الزهرى [3] التى كانت تمتد على الضفة الغربية للخليج المصرى من عند موقع السيدة جنوباً حتى الأزبكية شمالاً ، ولما خربت تلك الجنان صار موقع البركة كوم تراب ، ولم يكن بموضعها وقت إنشائها من عمائر سوى كنيسة عرفت بكنيسة الزهرى ، وهى واحدة من الكنائس والأديرة التى كانت متوزعة مابين مصر الفسطاط والقاهرة . [4]

---

(١) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٤٣٤ ـ ٤٣٥ .

(٢) عن هذا الجامع بالتفصيل ، انظر :

سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٢ ، ص٢٩٩ ـ ٣٠٣ .

(٣) جنان الزهرى هذه تنسب إلى أبى العباس عبد الوهاب بن موسى بن عبدالعزيز بن عمر بن الصحابى عبدالرحمن بن عوف الزهرى أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان أبو العباس هذا قد تولى الشرطة بمصر وقد توفى فى رمضان سنة ٢١٠ هـ .

* وكانت تلك الجنان قد حبسها الزهرى على أولاده وكانت تمتد من موقع قنطرة عبد العزيز بن مروان التى كانت تقع قرب ميدان السيدة زينب وتمتد تلك الجنان شمالاً إلى باب اللوق والأزبكية ، وفى زمن الدولة الفاطمية عرف العمران والبناء طريقه الى تلك الجنان والبساتين على يد ابن التبان الذى كان يتولى منصب رئيس المراكب أيام الخليفة الآمر باحكام الله فعرف البر الغربى للخليج باسم بر ابن التبان ، وشمل جميع جنان الزهرى ، ولكن ذلك التعمير لم يستمر طويلاً ، وعادت المنطقة إلى بساتين حتى زمن سلطنة الناصر محمد بن قلاوون حيث حكرت وقسمت إلى أكثر من ١٥ حكراً غربى الخليج ، وعرف الجزء الجنوبى باسم حكر الزهرى الذى يشغله الآن حى الناصرية بالسيدة زينب بالقاهرة . انظر :

المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١١٤ ـ ١١٥ .

* ونلاحظ أن بقية من جنان الزهرى ظلت موجودة ومحتفظة بهذا الاسم فى العصر العثمانى وقد ورد ذكرها فى الوثيقة رقم ٢٨١٦ أوقاف والمؤرخة بيوم ٢ ربيع الثانى سنة ١٠٣٧ والخاصة بوقف الأمير حسن افندى بن حسين اغا على التكية المولوية . انظر مايلى ، ص٣٧٣ .

* وقد خلدت مصلحة التنظيم اسم جنان الزهرى فأطلقته على شارع صغير موازى لشارع نوبار يصل بين شارع المبتديان وشارع الملك الناصر .

(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

وقد وقعت البركة بخريطة نيبور [١] ورمز لها بالحرف W ، وكذلك وقعت بخريطة الحملة الفرنسية تحت اسم بركة ستى نصره أو بركة السقايين [٢] وتبلغ مساحة البركة سبعة أفدنة [٣] ، ويمثل موقعها الآن جزء من حى الناصرية بالسيدة زينب ، ومكانها اليوم المنطقة التى يخترقها شارع ستى نصره ويحدها من الشرق شارع محمد فريد (جزء من شارع عماد الدين سابقاً) ، ومن الغرب شارع مصطفى كامل (الشيخ عبدالله سابقا) ، ومن الجنوب شارع درب البندق ، ومن الشمال شارع الشيخ ريحان .

واستنبطت هذه البركة بطريقة غير مباشرة إذ أن الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أنشأ ميداناً سنة ٧٢٠هـ يسمى ميدان المهارى بجوار موضع البركة ، وأراد بناء زريبه بجوار جامع الطيبرسى [٤] على النيل لتربية الخيول وغيرها التى سيستخدمها فى الميدان ، فاحتاج إلى طين يبنى به الزريبة فتراءى له أن يستخرج التراب من مكان البركة [٥] ، وأوكل العمل للأمير بيبرس الحاجب الذى نزل بالمهندسين وقاسوا مساحة البركة ووزعها على الأمراء ليلتزم كل أمير بحفر مساحة منها ، وبدأ العمل بها يوم الثلاثاء ١٩ ربيع الأول ٧٢١هـ [٦] ولما تم حفر البركة نقل ما خرج منها من الطين إلى الزريبة ،

---

(١) رحلة إلى مصر ، جـ١ ، ص٢١٠ .

(٢) ذكر "على مبارك" فى الخطط التوفيقية جـ٣ ، ص٣٥٠ " أن البركة الناصرية هى المبينة على خريطة الحملة الفرنسية باسم بركة أبو الشامات أو بركة المعهد أو بركة قاسم بك ومن حقوقها ديوان المالية الذى كان بيتاً لاسماعيل باشا المفتش والمبانى المقابلة له

* ولكن هذا الرأى ينافى الواقع والحقيقة ، فمن خلال الوثائق وما ذكره المؤرخون عن الآثار التى لا تزال باقية للآن مثل جامع آق سنقر وجامع الاسماعيلى ومدرسة قانى باى بأنها بنيت على الحافة الشرقية لبركة الناصرية فاننا نجدها كذلك فى خريطة الحملة الفرنسية موقعة على الحافة الشرقية لبركة ستى نصره أو السقايين ، لذا نستنتج أن بركة الناصرية هى نفسها بركة ستى نصره أو السقايين وليست بركة أبو الشامات كما اعتقد على باشا مبارك ، انظر ايضاً :
محمد رمزى ، تعليقة على النجوم الزاهرة ، جـ١٢ ، ص٨٧ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

(٤) عن جامع الطيبرسى ، انظر ماسبق ، ص٤٩ .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

(٦) هذا التاريخ هو ما ذكره المقريزى . انظر الخطط ، جـ٢ ، ١٦٥ .

* ويتفق "ابن كثير" مع المقريزى فى تاريخ السنة التى حفرت فيها البركة ، ولكنه اختلف معه فى الشهر حيث ذكر أنها حفرت ابتداءاً من المحرم . انظر :
البداية والنهاية ، جـ١٤ ، ص٩٨ .

* أما "ابن اياس" فيذكر أن الناصر محمد شرع فى حفر البركة الناصرية سنة ٧٢٩ هـ ، وأنه أجرى إليها الماء من الخليج الناصرى وبنى قصراً كبيراً بالميدان المجاور لهذه البركة وأنشأ بها بستاناً تحت هذا القصر . انظر :
بدائع الزهور ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٦٠ .

* ورأيى هنا أن اغلب المؤرخين ذكروا أن حفر البركة كان سنة ٧٢١ هـ ، ولكن نستنتج من نص ابن اياس أنه ربما أعاد حفرها سنه ٧٢٩ هـ وأقام القصر والبستان بجوارها بالميدان ، وأوصل إليها الماء من الخليج الناصرى مباشرة بدلاً من الخليج القديم الخاص بها الذى كان ينبع (يخرج) من جوار مخرج الخليج الناصرى على النيل .

وأجرى إليها الماء من جوار الميدان السلطانى الكائن بأرض بستان الخشاب عند موردة البلاط . (١)

ايقـــاف البركـــة :

ربما كانت البركة تجرى فى وقف الناصر محمد لأنه هو الذى استنبطها ، ولكن فى العصر العثمانى انتقل وقفها إلى تكية المولوية كما يتضح مما ذكره الجبرتى . (٢)

العمارة حول البركة :

كان حفر البركة سبباً مباشراً فى عمران خط الناصرية ، فقد سمح السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون للناس فى حكر ما حول البركة فبنوا عليه الدور العظيمة وصار خط البركة الناصرية عامراً ومتصل البناء بخط قناطر السباع والسبع سقايات . (٣)

وبالرغم من المحن والحوادث والفوضى السياسية التى ألمت بالقاهرة ومصر منذ سنة ٨٠٦هـ واستمرت فترة أيام المقريزى (٤) (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) إلا ن التعمير عاد بعد ذلك مرة أخرى ، وظلت البركة وما حولها من أعمر الخطط بالقاهرة بقية العصر المملوكى .

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

* أى أن فم الخليج الذى يغذى البركة كان بجوار فم الخليج الناصرى على النيل الذى حفر بعد البركة باربع سنوات . انظر الخطط ، جـ٢ ، ص١٤٥ .

(٢) عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٥٢٣ .

* ومما يؤكد قول الجبرتى هو أن ميدان المهارى الذى كان يجاور البركة من الجهة الغربية حول إلى بستان فى العصر العثمانى وأوقف على تكية المولوية أيضاً .

انظر بالتفصيل مايلى ، ص٣٧٢ .

(٣) المقريزى ، ا لخطط جـ٢ ، ص١٦٥ .

* من الجدير بالذكر أنه كان بموقع البركة توجد كنيسة فقط تسمى كنيسة الزهرى بالاضافة لبعض الكنائس والأديرة حولها فى منطقة قناطر السباع والسبع سقايات من كنائس الحمراء القديمة ، ولما أراد الناصر محمد حفر البركة حفر ماحول كنيسة الزهرى هذه وصارت وسط الحفر حتى تعلقت وكان القصد أن تسقط من غير تعمد ولكنها بسبب ذلك تعرضت للهدم على يد العامة وكانت هذه هى بداية الحادثة التى عرفت باسم حادثة الكنائس التى بدأت يوم الجمعة ٩ ربيع آخر ٧٢١ هـ وتعرضت فيها الكنائس والأديرة التى بالقاهرة هى ومن فيها للتحريق والتخريب والنهب . انظر بالتفصيل عن هذه الحادثة وما ترتب عليها : المقريزى ، السلوك ، جـ٢ ، ص٢٠٦ ـ ٢٢٧ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص٦٣ـ٧٢ .

* ويتضح لنا رغبة الناس فى الميل للقديم والحفاظ على ذكراه فى ذكر درب يسمى درب الكنيسة أنشىء بعد ازاله الكنيسة وهذا الدرب مذكور بالوثيقة رقم ٢٨١٦ أوقاف والمؤرخة بتاريخ ربيع ثانى سنة ١٠٣٧ هـ . وهذا الدرب لا يزال قائماً للآن بأسمه ويصل بين شارع خيرت وبين شارع الناصرية .

(٤) تأثرت بركة الناصرية بعض الشىء فى تلك الأزمات ، ومن الأزمات السياسية التى تأثرت بها الناصرية الفتنة التى حدثت سنة ٨٠٠هـ والتى قام بها على باى وشاركة فيها الأمير يلبغا الأحمدى المجنون ، ولما فشلت مؤامرة=

وفى أثناء الغزو العثمانى للقاهرة تعرضت الناصرية للدمار والتخريب أثناء المعارك بين المماليك والعثمانيين فى محرم ٩٣٣هـ [١] ، ولكن ما أن هدأت الحال حتى بدأ التعمير يعود إلى تلك المنطقة بل أن خط الناصرية صار من أكثر المناطق ارستقراطية ورفاهية فى العصر العثمانى واحتوى على قصور وبيوت العديد من الباشوات والبكوات والكشاف . وبالنظر إلى خريطة الحملة الفرنسية نجد الجانب الشرقى والجنوبى الشرقى للبركة عامراً بالحارات والدروب أما الجانب الغربى فإنه احتفظ بالبساتين والحقول .

ومن العمائر الدينية الجليلة التى بنيت على حافة البركة فى العصر المملوكى والتى لاتزال قائمة للآن مسجد الأمير شمس الدين آق سنقر بن عبدالله شاد العمائر [٢] الذى بنى شمال شرق البركة والذى جدد مكانه جامع ومقام سيدى محمد ابو طبل بسويقة السباعين بشارع المذبح المتفرع من حارة السقايين بالناصرية ، وقد وقع الجامع فى خريطة الحملة الفرنسية بأسم زاوية ابو طبل برقم ٢١٤ فى المربع Q-13 ، وقد أقام سنقر بجوار جامعة داراً جليلة وحمامين بخط البركة الناصرية [٣] اندثروا الآن .

ومن الآثار أيضاً جامع الأمير أرغون شاه الاسماعيلى [٤] على شاطىء البركة الشرقى والذى تم بناؤه فى شهر شعبان ٧٤٨هـ ، ولا يزال هذا الجامع عامراً بذكر الله تعالى [٥] (أثر رقم ٢٥٣) ، وهو موقع بخريطة الحملة برقم ١٩٢ فى المربع R-13 .

= على باى لقتل السلطان برقوق ، أمر برقوق بنهب بيت يلبغا الذى كان قد بناه جديداً على البركة الناصرية . انظر :

ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ١ ، ص٤٦٩ .

*وكذلك ما حدث سنة ٨٠٨هـ من خروج بعض الأمراء على الناصر فرج بن برقوق ، فاتخذ فرج من بيت الأمير سودون الحمزاوى على بركة الناصرية مركزا لتجمع قواته ليصد بها الخارجين عليه . انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ١ ق١ ، ص٧٤٠ .

(١) تعرضت زاوية عماد الدين والبيوت التى حولها بالناصرية للأحداث والدمار فى المعارك فى المحرم سنة ٩٢٣هـ بين المماليك والعثمانيين . انظر :

ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص١٥٤ .

(٢) الأمير آق سنقر تولى عدة وظائف هامة زمن الناصر محمد بن قلاوون ، وكان واسع الثراء ، وقد عمر قنطرة آق سنقر على الخليج الكبير بخط قبو الكرمانى قبالة الحبانية ، وقد جعل على جامعة بالناصرية أوقافاً عديدة ، وقد عزل وصودر ومات بدمشق ٧٤٠هـ .

انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣٠٩ ، السلوك ، جـ٢ ، ص٥٠٥ . ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة، جـ٩ ، ص١٢٢ . ،على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٣٠ .

(٣) انظر ترجمته فيما سبق ، ص١٦٩ .

(٤) عن هذا الجامع انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٧ .

على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٤٨ ، ٣٤٩ ، جـ٤ ، ص١١٤ ، ١١٥ .

سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ٣ ، ص٢٢٩ ـ ٢٣٤ .

وفى الجزء الجنوبى الشرقى لبركة الناصرية أقام الأمير قانى باى الرماح مدرسته [1] سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٦م (أثر ٢٥٤) بالإضافة إلى منشآت أخرى بجوارها اندثرت الآن ، وكانت تتكون من مبنى كبير يشتمل على ربع وحوانيت ووكالة وفرن وبعض المرافق الأخرى ، كما امتلك قانى باى أيضاً مبنى آخر كان يشتمل على عدة قاعات وطباق سكنية مقابل مدرسته وقد امتلكة قانى باى عام ٩١٢هـ عن طريق الاستبدال ، بالاضافة لذلك فقد امتلك قانى باى أيضاً أحد الأبنية بالناصرية بخط حوض أرغون شاه تجاه مسجده بشارعى الناصرية وجامع الاسماعيلى ، وكان يجاور المسجد المذكور حوض لشرب الدواب واصطبل خاصين بالأمير أرغون شاه كما تذكر حجة الوقف ، وقد امتلك قانى باى هذ المبنى عام ٩١٩هـ عن طريق الشراء وكان يشتمل على حديقة بها أشجار يانعة وطاحونين [2] .

أما عن عمران خط بركة الناصرية فى العصر العثمانى فقد أصبح من الأحياء الراقية التى يسكن بها صفوة الطبقة الارستقراطية من باشوات وبكوات واصحاب الوظائف الكبيرة مثل الكشاف [3] الذين كاد يكون الحى خاصاً بهم فى نهاية العصر العثمانى ، واستطاع الاستاذ "اندرية ريمون" حصر خمسة بيوت لكشاف كانوا بالناصرية سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م ، والبيت السادس كان قد شيده قاسم بك أبو سيف [4] قد شيده عندما كان لا يزال كاشفاً ، وقد زوده بحديقة واسعة وكان يحاول ان يجعل حى الناصرية حياً حديثاً أو حى الكبراء والوجهاء [5] ، وكان يفتح حديقة قصرة للناس وكانت تحيط بالقصر وتشقها قنوات الماء التى تصل إلى البركة أيام فيضان النيل ، واحكم جريان الماء فى قنوات مرتفعة وغرس فيها الزهور والفواكة والأشجار والنخيل ونسق بها

---

(١) وقعت فى خريطة الحملة الفرنسية بأسم جامع أمير اخور برقم ٢٦٣ فى المربع S-13 .

(٢) عن مدرسة قانى باى الرماح بالناصرية ومنشآت أخرى وترجمة حياته وأعماله انظر :

سامى عبدالحليم ، أعمال الأمير قانى باى قرا الرماح بمدينة القاهرة ، دكتوراة "غير منشورة" ، (كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥) .

(٣) الكشاف جمع كاشف ، والكاشف هو الموظف الذى يتولى ادارة الكاشفية حيث كانت مصر فى العصر العثمانى مقسمة إلى خمسة اقاليم ادارية كبرى كان يطلق على كل منها لفظ ولاية ، كما وجد ٣٤ قسماً أصغر من الأقسام أطلق عليها الكاشفيات .

وعن هذه الوظيفة بالتفصيل ، انظر :

Shaw, S., The Financial and Adminstractive Organization and Development of Ottoman Egypt 1517- 1798, Princeton, 1962, PP. 13-60 - 63 .

ليلى عبداللطيف ، الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، مطبوعات كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٨ ، ص٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٤٥٣ .

صلاح هريدى ، دور الصعيد فى مصر العثمانية ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص١٠١ ، ١٠٣ .

(٤) توفى سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م . انظر ترجمته فى الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٥٢٣ ـ٥٢٥ .

(٥) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى ، ص١٩٩ .

جلسات مفروشة لخاصته ظللها بالزهور [١] . ويشغل مكان القصر الآن عمارة الأوقاف بشارع الكومى .

ومن دور الكشاف العظيمة بالناصرية دار حسن الكاشف المتوفى سنة ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م والتى ذكر الجبرتى أنه "صرف عليها أموالاً عظيمة فما هو إلا أن تم بناءها ولم يكتمل بياضها حتى وصلت الفرنسيس فسكنها الفلكيون والمدبرون وأهل الحكمة والمهندسون لذلك صينت من الخراب" [٢] ، وقد اندثر هذا القصر الآن ويشغل موقعه الآن موقعة الآن مدرسة السنية بالسيدة زينب [٣] .

ومن الدور الكبيرة التى بنيت بحى الناصرية والتى لاتزال قائمة للآن دار ابراهيم كتخدا السنارى المتوفى ١٢١٦هـ ١٨٠١م [٤] والتى بناها سنة ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م وقد استخدم هذه الدار علماء الحملة الفرنسية أثناء احتلالهم مصر ، وتقع الدار بحارة مونج بالسيدة زينب وهى مسجلة رقم ٢٨٣ .[٥]

وكانت بركة الناصرية طوال العصر العثمانى متنزهاً كبيراً وحفلت شواطئها بقصور ومناظر وبساتين كبار الأمراء وليس أدل على ذلك ما رواه الرحالة "النابلسى" فى رحلته التى زار فيها مصر سنة ١١٠٥هـ/ ١٦٩٤م ، وزار فيها البستان الزاهى والقاعة العظيمة والقصر الذى بناه حجى باشا على البركة مباشرة ، وما كانت تتم به من جلسات سماع ومغنى [٦] .

بركة أبو الشامات (بركة المعهد أو بركة قاسم بك)

هذه البركة نادرة الذكر فى المصادر والوثائق المملوكية [٧] ، وقد ورد زكرها باسم بركة ابو شامة

---

(١) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٥٢٣ ـ ٥٢٤ . ،=

=عبد الرحمن زكى "بحث خطط القاهرة فى أيام الجبرتى" ، من كتاب عبدالرحمن الجبرتى ، ص٤٨٣ ، ٤٩٣ .

وانظر وصف الجبرتى الرائع للقصر والحديقة فى الملحق رقم ٧ من الرسالة .

(٢) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ٤٥٦ .

(٣) عبدالرحمن زكى ، المرجع السابق ، ص٤٩٢ .

(٤) الجبرتى ، ا لمرجع السابق ، ص٥٢٥ .

(٥) عن هذه الدار ، انظر :

Revault, J & Maury, B., Palais et Maisons du Caire du XIV au XVIII Siecle, le Cairo IFAO, PP. 82- 101.

(٦) الحقيقة والمجاز ، ص٢٨٣ـ ٢٨٤ .

(٧) ذكرها المقريزى مرة واحدة عرضاً دون أن يسميها فى ذكره لميدان المهارى حيث قال : "ومن وراء هذا الميدان بركة ماء كان موضعها كرم القاضى الفاضل . . انظر :

الخطط جـ٢ ، ص١٩٩ .

فى احدى الوثائق العثمانية وكانت تحيط بها البساتين [١] وقد وقعت فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٢٨٧ فى المربع S-15 باسم بركة أبو الشامات حيث كان يحدها شمالاً غيط أبو الشامات الذى وقع بالخريطة برقم ٢٨٩ فى المربعين P,Q-14 . كما عرفت أيضا ببركة قاسم بك حيث يحدها شرقاً غيط قاسم بك الذى وقع بالخريطة برمق ٢٨٥ فى المربع S-14 . [٢]

كما أطلق عليها الفرنسيون بركة المعهد لأنهم اتخذوا من بيت قاسم بك وبيت حسن كاشف وبيت ابراهيم السنارى الواقعة شرقى البركة مقراً لعلماء الحملة . [٣]

وكانت هذه البركة تشغل مساحة حوالى ١٠ افدنه وتشغل ارضها الآن المنطقة المحصورة بين شارع أمين سامى جنوباً وشارع اسماعيل اباظة شمالاً وشارع منصور شرقا وشارع القصر العينى غرباً . [٤]

بركة السباعين (الدمالشه)

قال "المقريزى" عن بركة السباعين " عرفت بذلك لأنه اتخذ عليها دار السباع وهى موجودة هناك إلى يومنا هذا ، وهى من جملة حكر الزهرى وعليها الآن دور ولم تحدث بها العمارة إلا بعد سنة سبعمائة وإنما كان جميع الخط وما حوله من منشأة المهرانى إلى المقس بساتين ثم حكرت " [٥]

وقد ذكر هذه البركة على باشا مبارك ولكن جانبه الصواب فى تحقيق موضعها . [٦]

ولكن برجوعى إلى خريطة الحملة الفرنسية وجدت هذه البركة موقعة عليها بركة الدمالشة برقم ٢٢٤ فى المربع P- 12 ومساحتها لا تتعدى اربعة أفدنه ولا يزيد طولها عن ١٥٠ متراً وعرضها عن

---

(١) كتاب وقف الأمير حسن افندى بن حسين اغا رقم ٢٨١٦ أوقاف والمؤرخ يوم ٢ ربيع الثانى سنة ١٠٣٧ هـ ، ص٦ ، ٧ .

(٢) يشغل غيط قاسم بك المنطقة الممتدة بين شارع خيرت وبين شارع نوبار .

(٣) عبدالرحمن زكى ، المرجع السابق ، ص٤٩١ ، ٤٩٣ .

(٤) هذا التحديد استنبطته من مطابقة خرائط الحملة الفرنسية مع خريطة القاهرة للآثار الاسلامية لوحة ١ . انظر أيضاً :
محمد رمزى ، تعليقه على النجوم ، جـ٩ ص١٩٤- ١٩٥ .

(٥) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٢ .

(٦) قال عنها على مبارك .. وبركة السباعين محلها الآن عمارة محمد بك الشماشرجى ومابجوارها من العمارة من الجهة القبلية وكان يفصلها عن القاهرة مزارع وكان المار من بوابة الناصر إلى جهة الشيخ ريحان يجدها على يساره وترب القاصد بقربها وكانت باقية إلى وقت دخول الفرنساوية وطولها على الخريطة التى رسموها اربعمائة وخمسون متراً وعرضها المتوسط مائة وخمسون متراً ومساحاتها تقرب من ستة عشر فداناً بفدان وقتنا هذا" . انظر :
الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٣١ .

١٢٠ متراً . كما أنها لا تقع على يسار المار من بوابة الناصرية [١] إلى جهة الشيخ ريحان [٢] كما ذكر على مبارك باشا بل تقع على يمين المار ، وقد خلط المرحوم على مبارك بينها وبين بركة الناصرية فى ذلك الأمر .

ومن خلال خريطة الحملة الفرنسية أيضاً نرى أن البركة كانت محاطة بحارات وآثار لا يزال الكثير منها على حالها للآن ، ومعظمها موقع بخريطة القاهرة للآثار الاسلامية مثل مسجد عابدين بك وجامع مسكه وزاوية البرمونى وجامع عماد الدين والشيخ ريحان وحارة السقايين وحارة الزير المعلق وسويقة السباعين وغير ذلك ، ونستخلص من ذلك أن موضع بركة السباعين (الدمالشة) كما وقعت بخريطة الحملة تنطبق الآن على الجزء الجنوبى من قصر وميدان عابدين شمالاً حتى ميدان المبدولى الواقع به جامع محمد المبدول جنوباً .

ويؤيدنا فى هذا الرأى ما ورد بوثيقة الأمير عثمان جلبى والمؤرخة بتاريخ ٢ شعبان ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م [٣] انه من أوقافه " القطعة الأرض المغروزة من الجنينة الكاين ذلك بمصر المحروسة بخط الزير المعلق فيما بين حارة عابدين وسويقة السباعين والمطل على بركة الدمالشة" . كما قام الأمير بعمارة تحوى مقعداً فى الجنينة التى تطل على البركة ذكر أنها بخط الزير المعلق قرب سويقة صفية ، كما أنه أوقف ستة قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً فى كامل أرض البركة المعروفة ببركة الدمالشة الكاين ذلك بمصر المحروسة بخط حارة السقايين .

وبدراسة خريطة الحملة الفرنسية نجد ان حدها الشرقى بها جنينة صغيرة تمثل تلك التى ذكرت بالحجة .

يتضح لنا مما سبق أن بركة السباعين هى نفسها بركة الدمالشة وأنها ظلت عامرة فى العصرين المملوكى والعثمانى .

بركة الشقاف (الضرابين)

قال المقريزى عن هذه البركة " أن هذه البركة فى بر الخليج الغربى بجوار اللوق [٤] وعليها الجامع

---

(١) وقع باب الناصرية فى خريطة الحملة برقم ٢٦٥ فى المربع .

(٢) وقع الشيخ ريحان برقم ٢٧١ فى المربع R -13 .

(٣) وثيقة الأمير عثمان جلبى زاده بن يوسف بك دفتر دار مصر المحروسة رقم ٨٥ أوقاف .

(٤) اللوق معناها فى اللغة اللين يقال لاق الشيء يلوقة لوقاولوقه لينه ، وكانت أرض اللوق هذه أرض لينة فبعد أن ينتهى فيضان النيل ويصرف الماء عنها تنكشف أرضها ولا تحتاج إلى الحرث للينها ورخاوتها فتنثر بها البذور حيث تزرع أصنافاً شتوية . =

المعروف بجامع الطباخ [1] فى خط باب اللوق ، وكانت هذه البركة من جملة أراضى الزهرى [2] ، وكان عليها فى القديم عدة مناظر منها منظرة الأمير جمال الدين موسى بن يغمور وذلك أيام كانت أراضى اللوق مواضع نزهة قبل أن تحتكر وتبنى دوراً وذلك بعد سنة ستمائة* . [3]

ومن خلال نص المقريزى هذا نستطيع أن نحدد مكان ومساحة البركة إذ نجد من حسن الحظ أن جامع الطباخ لا يزال موجودا للآن إلا أنه مجدد ، ويقع فى ميدان باب اللوق فى تقاطع شارع محمد فريد من شارع سامى البارودى (شارع على باشا ذو الفقار سابقا) ، كما أنه موقع على خريطة

= وكانت أراضى اللوق فى الزمن الماضى مما يغمره ماء النيل ثم انحسر عنها فى سنى ٣٣٠هـ ٥٦٠هـ وأصبحت أرضاً زراعية انشىء بها كثير من البساتين والمنشآت مثل منشأة القاضى الفاضل وبستانه ومنشأة ابن ثعلب وبستانه ومنشأة الكتبة وغيرها مما ذكره المقريزى ، ثم زالت هذه المنشآت وبقيت أرض اللوق أرضاً زراعية ولم يحدث فيها بناء بعد ذلك إلا فى سنة ٦٦٠هـ حيث قدم على مصر طائفة من التتار مستأمنين فأنزلهم الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فى دوركان قد أمر بعمارتها من أجلهم فى أراضى اللوق ، وفى أواخر سنة ٦٦١هـ قدم طوائف عدة من المغول والبهادرية فأنزلهم السلطان فى مساكن عمرت لهم باللوق ، ومن ذلك الوقت أصبح بأرض اللوق عدة أحكار عامرة آهلة بالسكان ثم أخذت هذه الأحكار فى الخراب تدريجياً إلى أن اندثرت عن آخرها فى القرن العاشر الهجرى / الخامس عشر الميلادى .

ومن تطبيق الحدود التى ذكرها المقريزى لأرض اللوق يتبين أنها كانت ممتدة على النيل من الجهة الغربية من مدينة القاهرة وتشمل المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع قنطرة الدكة ومن الغرب بأول شارع رمسيس ما فى امتداده فشارع القصر العينى والحد القبلى (الجنوبى) شارع بستان الفاضل والحد الشرقى شارع الخليج المصرى فشارع نوبار إلى أن يتقابل مع شارع الشيخ ريحان فينعطف الحد مائلاً إلى الشرق حتى يتصل بشارع محمد فريد عند تلاقية بشارع التحرير ثم يستقيم الحد متجهاً إلى الشمال فى شارع عماد الدين إلى أن يتقابل مع الحد البحرى (الشمالى)، وكان الحد الشرقى لأرض اللوق هو مكان الشاطىء الشرقى للنيل تجاه القاهرة لغاية سنة ٦٩هـ أى أن النيل كان يجرى عند هذا الحد قبل ظهور أرض اللوق .

ومن الاطلاع على خريطة الحملة الفرنسية وعلى خريطة مدينة القاهرة سنة ١٨٥٨م يتبين أن أرض اللوق التى ذكرت حدودها كانت لغاية تلك السنة أطيانا زراعية وليس فيها من المبانى إلا مجموعة من المساكن الواقعة خارج باب اللوق بين شارع البستان وبين شارع جامع جركس ، وفى زمن الخديوى اسماعيل بدأ الناس فيها بالعمارة والبناء حتى صارت إلى ماهى عليه الآن . انظر :

المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١١٧ .،

محمد رمزى ، تعليقة على النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص٣٠٨ ، جـ٩ ، ص١٩٣ .

(١) جامع الطباخ نسبة للحاج على الطباخ ، طباخ الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهذا الجامع كان أصلاً من إنشاء الأمير جمال الدين أقوش فجددة الحاج على الطباخ فنسب اليه ، وكان الحاج على الطباخ يملك حوالى ٢٢ داراً بالقاهرة إلا أنها صودرت من ضمن ماصودر من أملاك الطباخ عندما تعرض للمصادرة والاضطهاد سنة ٧٤٦هـ فى سلطنة الملك الكامل شعبان ، انظر :

المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص٣١٥ . السلوك جـ٢ ، ص٦٨٦ .

(٢) عن حكر وأراضى الزهرى انظر ماسبق ، ص١٨٨ .

(٣) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٢ .

الحملة الفرنسية برقم ٩٩ فى المربع N - 13 على البركة التى وقعت على الخريطة بأسم بركة الفرايين برقم ١٥٠ وتشغل المربعين N-12, N- 13 ، وهى على شكل مستطيل مساحتها حوالى عشرة أفدنة .

نستنتج من ذلك أن بركة الشقاف تغير اسمها إلى بركة الفرايين وقد اطلق عليها هذا الأسم الأخير فى أواخر العصر المملوكى ، ويتضح لنا ذلك مما ذكره المؤرخ "ابن اياس" من أنه فى يوم ٢٩ جمادى الآخرة سنة ٩١٨هـ قد أقام الأمير قانصوه بن سلطان جركس وقدة وإحراقة نفط ببركة الفرايين حيث كان يقع داره عليها . (١)

كما عرفت البركة أيام على باشا مبارك باسم بركة اليرقان (٢) ، وترجع تلك التسمية لوقوع عطفة عليها تسمى اليرقان التى وقعت بخريطة الحملة برقم ٧٤ فى المربع N - 12

وظلت البركة قائمة حتى ردمت زمن الخديوى اسماعيل ويشغل مكانها الآن جزء من مبنى محافظة القاهرة والجزء الشمالى من قصر وميدان عابدين بالقاهرة .

وباطلاعنا على حجة وقف الأمير عابدى بك رقم ٩٩١ المحفوظة بوزارة الأوقاف والمؤرخة بيوم ١٥ شوال ١٠٣٣ هـ ، ورد بها أنه هدم أماكن قديمة وبنى مكانها قاعة وحمام مستوقد وحوض لشرب الدواب ، وأحد عشر حانوتاً بخط سويقة صفية (٣) بالقرب من الزير المعلق (٤) بمصر المحمية ، وكانت هذه الأماكن مطلة على بركة تسمى بركة ابن العظمة من الحد القبلى والحد الغربى وكان بقية الحد القبلى ينتهى إلى جنينة والحد البحرى إلى زقاق والحد الشرقى إلى منزل عابدى بك .

يتضح من ذلك أن بركة الشقاف عرفت فى القرن ١١ هـ / ١٧م باسم بركة ابن العظمة حيث وقعت المنشآت الخاصة بعابدى بك فى خريطة الحملة شرقى بركة الفرايين (الشقاف) . (٥)

---

(١) بدائع الزهور ، جـ٤ ، ص٢٨٠ .

(٢) الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٢٤ .

(٣) وقع الزير المعلق برقم ٢٣١ فى المربع O-12 فى خريطة الحملة الفرنسية .

(٤) وقعت حارة صفية برقم ٤٣ فى المربع N- 11 فى خريطة الحملة الفرنسية .

(٥) وقع بيت عابدى بك برقم ٩١ فى المربع O - 11 حارة عابدين برقم ١٣٨ فى المربعين O,P - 11 وجامع عابدى بك برقم ١٤٨ فى المربع O - 11 ،وبيت آخر لعابدين برقم ١٤٩ فى المربع O - 11 ، وحمام عابدين برقم ٦٧ فى المربع O - 11 وسكة عابدين برقم ٦٨ فى المربع N - 11 .

بركة الفهادة (أبو الشوارب)

هذه البركة نادرة الذكر فى المصادر والوثائق المملوكية حتى أن المقريزى لم يوردها فى ذكر البرك ، وإنما وردت مرة واحدة فى نص لابن الصيرفى [١] وقد وجدتها مذكورة فى الوثائق العثمانية ، ففى وثيقة الأمير حسن أغا أنه أوقف أماكن بمصر المحروسة بخط حدرة الكماجين المطل على بركة الفهادة المعروفة ببركة أبو الشوارب . [٢]

يدل هذا على أن بركة أبو الشوارب ما هى إلا بركة الفهادة ويرجع أصلها للعصر المملوكى وليس العصر العثمانى كما اعتقد البعض [٣] .

هذا وقد وردت بركة أبو الشوارب ضمن قائمة نيبور للبرك [٤] ورمز لها على الخريطة بالحرف U كما وقعت بركة أبو الشوارب برقم ٨٢ فى المربع M - 11 فى خريطة الحملة الفرنسية تحت اسم بركة أو غيط أبو الشوارب وكان جزء منها مزروعاً حينئذ

وموقع بركة أبو الشوارب الآن نمثله فى خريطة القاهرة للآثار الإسلامية ، بمنطقة فضاء تتوسط المثلث المحصور بين شوارع محمد على وعبد العزيز وحسن الأكبر ، وفى الركن الجنوبى الغربى جامع رضوان بك أبو الشوارب [٥] الذى نسبت إليه البركة .

وكان رضوان بك أبو الشوارب قد إهتم بإعادة حفر البركة وبنى عليها داراً كبيرة [٦] بجوار جامعة [٧] بحارة الهدارة ، وقد آلت هذه الدار فى النهاية إلى الأمير شريف باشا الكبير فهدمها

---

(١) ذكرها "ابن الصيرفى" فى ترجمة للأمير يشبك الاسحاقى الشهير يشبك جن وبالبهلوان الأشرفى برسباى ، أحد مقدمى الألوف ، والذى توفى فى جمادى الأول سنة ٨٧٥ هـ، وأنه كان ظالماً ، اهلك القاضى فتح الدين السوهائى من كثرة مايحط عليه ويسبه فإنه كان جاره بكته ببركة الفهادة . انظر : انباء الهصر ، ص٢٢٩ ـ ٢٣٠ . لم يستطع المحقق حسن حبشى أن يتوصل إلى تحقيق موضع البركة.

(٢) وثيقة الأمير حسن أغا رقم ١٨٥ المحفوظة بالأوقاف والمؤرخة يوم ٢٥ رجب سنة ١١٩٩هـ .

(٣) اعتقد على مبارك ، و د. درويس أبو سيف أن البركة تعود لإنشاء أبو الشوارب . انظر: على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٩٦ ،

Abouseif, (D), Azbakiyya and its Environs from Azbak to Islmail (1476 - 1879) Suppl. Aux Annales Islamdlo-giquees Cahiern . 6. Le Caire, IFAO, 1985, P.20

(٤) رحلة إلى مصر ، ص٢١٠ .

(٥) توفى رضوان بك أبو الشوارب سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢ م ودفن بجامعة على البركة . انظر: الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص١٤٥ .على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٩٣ .

(٦) وقع هذا البيت برقم ١٤٩ فى المربع M - 12 فى خريطة الحملة .

(٧) وقع الجامع مجاوراً لبيت ابو الشوارب برقم ١٥٠ فى المربع M - 12

وأدخل فيها عدة دور كـانت بجوارها وبناها بناءاً محكـماً وعمل بها بستاناً وبقيـت بيده إلى أن توفى بعد سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م ثم انتـقلت إلى ابنه على باشا شريف الذى قام بـردم البركة وعمل بها اصطـبل لخيـوله [١] ، وكان يقابل بيـت رضوان بك بيت حسن كتخدا المعروف بـالجربان الذى توفى بالشام سنة ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م . [٢]

وقد كانت البـركة البركة موضع تنـزه واحتفالات فى العصر العـثمانى وما تلاه وحفلـت بالأبنية العظيمية الفخمة على شاطئها . [٣]

بـركة الـدم

بالنظـر إلى خريطة الحملـة الفرنسية نجد غـربى القاهرة ثلاث برك مـتتابعة هى بركـة الدم وبركة والصابر وبركة الفوالة .

وبركة الدم هذه أصغرها وطـولها مائة متر فى عرض خمسين متر وذكر "عـلى مبارك" أن محلها فى زمنـه الأرض التى تجاه بيت مـحمود خليل ، وأنـها كانت مصرفـاً لجمع مياه المدابـغ والقاذورات والسلـخانات [٤] ، وقد سميت بهذا الأسم حيث يـجرى بها دم السلخانات [٥] ويمثل موقـعها الآن التقاء شارع مظلوم بشارع شريف (المدابغ سابقاً) .

وربما كانت هذه البركة هـى التى ذكرها أولياء شلبى فى القرن ١١هـ/ ١٧ م بـاسم بركة الدباغين بالقرب من باب اللوق . [٦]

وقد وقعت بركة الدم بخريطة الحمـلة الفرنسية برقم ٣٥٦ فى المربع M-15 وكانت تأخذ مـياهها من الخليج الناصرى .

وكانت أمثال هذه البرك تنتشر بالقاهرة وتملأ بالماء وقت فيضان النيل .

---

(١) على مبارك ، الخطط التوفيقة ، جـ٣ ، ص٣٩٦ .

(٢) نفسه ، ص٣٩٧ . ، الجبرتى عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٤٥٦ ـ ٤٥٧ .

(٣) من أمثلة ذلك ما ذكره الجبرتى فى حوادث شهـر ربيع الأول ١٢٣١هـ / ١٨١٦ م عندما أنشأ ولى افندى المعروف بولى جحا وكان يشـغل منصب كاتب الخزينة العامـرة وهو من طائفة الأرنؤود، أنشأ داراً عظيمـة بخط باب اللوق على البـركة المعروفة بأبى الشـوارب وأدخل فيها عدة بيوت بـجانبها وبناها عـلى نسق واصطلاح الأبنيـة الأفرنجية والرومية وتأنق فى زخرفتها واتسـاعها واستمرت العمارة بها نحو السـتين . انظر :
عجائب الآثار جـ٣ ، ص٥٠٧ .

(٤) الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٢٢٩ .

(٥) جومار ، وصف مدينة القاهرة ، ص٨٠ـ ٨١ .

(٦) Abouseif (D), Op. Cit., P. 20 .

بركة الصابر

كانت بركة الصابر تلى بركة الدم ، وكان طولها مائة وخمسين متراً وعرضها مائة وعشرين متراً . (١)

وقد وقعت برقم ٣٤٠ فى المربع L - 14 بخريطة الحملة الفرنسية ، وكانت تأخذ مياهها من الخليج الناصرى .

ويشغل مكانها الآن المنطقة التى بها شارع بنك مصر بشارع شريف باشا (لمدابغ سابقاً) بباب اللوق بالقاهرة .

بركة قرموط (الفوالة)

قال " المقريزى" عن هذه البركة " هذه البركة فيما بين اللوق والمقس وكانت من جملة بستان ابن ثعلب (٢) فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى من موردة البلاط رمى ما خرج من الطين فى هذه البركة وبنى الناس الدور وعرفت تلك الخطة كلها ببركة قرموط . . (٣)

كما ذكرها "المقريزى" فى مواضع أخرى ففى كلامه على الخليج الناصرى ذكر أن بركة قرموط تقع مابين الميدان الظاهرى وبين باب البحر (٤) . وكذلك فى كلامه على قنطرة الكتبة قال أنها على

---

(١) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ص١٢٩ .

(٢) ابن ثعلب هو الأمير الشريف فخر الدين اسماعيل بن ثعلب ، وينتهى نسبه إلى عبدالله بن جعفر الطيار بن أبى طالب ، وكان ابن ثعلب أحد أمراء مصر فى عهد العادل الأول الأيوبى أخى صلاح الدين ، وكان له مدرسة تسمى المدرسة الشريفية بجوار درب كركامة على رأس حارة الجودرية بحى الفحامين بالقاهرة الفاطمية ، وقد مات فى ١٧ رجب سنة ٦١٣ هـ .

* أما عن بستان ابن ثعلب فقد كان عظيم القدر مساحته ٧٥ فداناً فيه سائر الفواكة وجميع مايزرع من الأشجار والنخيل والكروم والرياحين وغير ذلك ، وكان البستان يمتد من باب اللوق إلى قنطرة الدكة ، وقد آل البستان بعده لابنه فاشتراه منه الملك الصالح نجم الدين ايوب وأنشأ فى جزء منه ميدان باب اللوق . أنظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ٢ ، ص١١٨ . ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

*وقد خلدت مصلحة التنظيم اسم ابن ثعلب باطلاقه على شارع صغير خلف البنك الأهلى المركزى بشارع قصر النيل بين شارعى الشريفين والقاضى الفاضل .

(٣) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٤ .

(٤) نفسه ص ١٤٥ .

* والميدان الظاهرى موقعة اليوم بباب اللوق فى المنطقة التى تحد من الشرق بشارع يوسف الجندى وشارع القاضى الفاضل ، ومن الشمال شارع قصر النيل ومن الغرب شارع مريت باشا ومن الجنوب شارع البستان . ولمزيد من التفاصيل انظر مايلى ، ص٣٧٨ .

* وباب البحر كان يقع على مدخل شارع فم باب البحر المتفرع من شارع الجمهورية .

obeikandl.com

الخليج الناصرى بخط بركة قرموط [١] . وفى كلامه على جامع المغربى قال أن هذا الجامع بالقرب من بركة قرموط مطل على الخليج الناصرى .[٢]

يتضح مما سبق أن بركة قرموط كانت تتوسط المسافة بين باب اللوق وباب البحر وأنها كانت قرب قنطرة الكتبة التى يمثل موقعها الآن نقطة التقاء شارعى طلعت حرب و٢٦ يوليو وكانت أيضاً بجوار جامع المغربى الذ ى لايزال محله الآن زاوية صغيرة بشارع عدلى .

فبناءاً على ذلك أرى أن موقع البركة يمثل الآن فى المنطقة التى تحيط بشارع عبدالخالق ثروت (الملكة فريدة سابقاً) شمالاً وشارع قصر النيل جنوباً ، وشارع جواد حسنى (طلعت حرب سابقا) وشارع طلعت حرب (سليمان باشا سابقاً) غرباً [٣] .

هذا وقد وقعت هذه البركة باسم بركة الفوالة فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٣٤١ فى المربع K - 14 ، وكانت تستمد ماءها من الخليج الناصرى مباشرة ، وكان متوسط طولها حوالى ٣٠٠ متر وعرضها المتوسط مائة متر . [٤]

وقد ذكر المقريزى أن هذه البركة تنسب إلى أمين الدين قرموط مستوفى الخزانة السلطانية ولم يذكر ترجمة كاملة له . [٥]

أما عن العمران حول البركة فى العصر المملوكى فنرى أنها كانت على أحسن مايكون ويرجع السبب الرئيسى لذلك إلى حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون للخليج الناصرى سنة ٧٢٥هـ ورمى الطين حول البركة فبنى الأمراء والأعيان وأثرياء الناس الدور عليها وصار خط بركة قرموط من أعمر الخطط ، وكانت بها الديار الجليلة التى تناهى أصحابها فى إحكام بنائها وتحسين سقوفها وزخرفتها

---

(١) الخطط ، جـ٢ ، ص١٥٠ .

(٢) الخطط ، جـ٢ ، ص٣٢٨ .

* موقع هذا الجامع الآن زاوية صغيرة تعرف بزاوية المغربى بها ضريح المغربى وهى تقع من مدخل العمارة رقم ٣٠ بشارع عدلى على يسار المتجه إلى شارع سليمان باشا فيما بينه وبين شارع شريف .

(٣) ذكر المرحوم "محمد رمزى" موقع البركة بأنها كانت واقعة فى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع ٢٦ يوليو (فؤاد الأول سابقاً) ومن الغرب بشارع شامبليون ومن الجنوب بشارع عبدالخالق ثروت (الملكة فريدة سابقاً) ومن الشرق بشارع شريف باشا (المدابغ).

* إلا أنه بدارسة خريطة الحملة الفرنسية نجدها تقع شرقى الخليج الناصرى أى أنها لاتمتد إلى شارع شامبليون الذى كان يقع غرب الخليج الناصرى وليس شرقية ، كما أن حدها الشمالى لا يمتد إلى شارع ٢٦ يوليو ، وإنما بدراسة خريطة الحملة الفرنسية ومطابقتها بخرائط القاهرة الحالية نجد أن ذلك الحد ينتهى إلى شارع عبدالخالق ثروت أو لمسافة قليلة بالقرب منه .

(٤) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٢٢٩ .

(٥) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

بالرخام والبياض وألحقوا بها حدائق وأشجار تسقى من آبار حولها فكانت تعد من المساكن البديعة النزهة [١] ، وكان سكان هذه الدور طبقة متميزة فى العصر المملوكى معظمهم من الكتاب مسلمين ونصارى . [٢]

ثم يذكر المقريزى " أن خط بركة قرموط تعرض للخراب والدمار وهدمت المنازل وبيعت أنقاضها فى الأزمات والمحن التى حلت مصر ابتداءاً من سنة ٨٠٦هـ " فزالت الطرق وجهلت الأزقة وانكشفت البركة وبقى حولها بساتين خراب [٣] .

لكننا نجد أن تلك الأزمات لم تقض على القاهرة ، بل عاد لها رونقها ونضارتها ، وقد وقعت البركة فى خريطة الحملة وقد أحاطت بها الأرض الفضاء والبساتين وإلى الشرق منها بالقرب من بركة الأزبكية خطت بعض الحارات . وقد ردمت البركة هى والبرك التى حولها عند تنظيم المنطقة المحيطة بها والتى أصبحت تمثل وسط البلد والحى التجارى لها فى عهد الخديوى اسماعيل .

بركة الأزبكية

كانت بركة الأزبكية من أعظم البرك مساحة فى العصرين المملوكى والعثمانى وأكثرها ارتباطاً بالتنزه ومظاهره ، ويمثل موضعها الآن حديقة الأزبكية وما حولها .

وقد ذكر المقريزي هذه البركة وأنها "كانت تعرف ايامه ببركة بطن البقرة وأنها تقع فيما بين أرض الطبالة [٤] وأراضى اللوق [٥] ويصل إليها ماء النيل من الخور فيعبر فى خليج الذكر اليها [٦] ، وكانت

---

(١) الخطط ، جـ ٢ ، ص١٦٤ .

(٢) يصف المقريزى "صورة دقيقة تعبر عن هذا الوضع المميز للبيوت وسكانها بالبركة بقوله " فكم حوت تلك الديار من حسن ومستحسن وأنى لاذكرها وما مررت بها قط إلا وتبين لى من كل دار هناك آثار النعم ، أما روائح تغالى المطبخ أو عبير بخور العود والند أو نفحات الخمر أو صوت غناء أو دق هاون ونحو ذلك مما يبين عن ترف سكان تلك الديار ورفاهة عيشهم وغضارة نعمهم" . انظر :
الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٤ .

(٣) نفسه ، ١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٤) عن أرض الطبالة ، انظر مايلى ، ص٢٩٨ .

(٥) عن أراضى اللوق ، انظر ماسبق ، ص١٩٩ .

(٦) على خليجى الخور والذكر ، انظر مايلى ، ٣١٠ .

البركة تواجه قصر اللؤلؤة [١] ودار الذهب [٢] فى برج الخليج الغربى * [٣]

وكان موضع البركة فى العصر الفاطمى جزءاً من بستان كبير يسمى بستان المقس يقع بين المقس [٤]

(١) قصر اللؤلؤة كان أحد المناظر الفاطمية ، وكان يطل على الخليج الشرقى بالقرب من باب القنطرة ، وكان من أحسن القصور وأعظمها زخرفة وهو أحد متنزهات الدنيا المذكورة فإنه كان يشرف من شرقية على البستان الكافورى ويطل من غربية على الخليج ، وكان غرب الخليج بركة بطن البقرة وبساتين عظيمة وراءها النيل ، وهذا القصر بناه الخليفة الفاطمى العزيز بالله وقد أمر الخليفة الحاكم بأمر الله بهدمه ونهب ما فيه ثم بناه بعد ذلك ابنه الظاهر لاعزاز دين الله . انظر :

المسبحى ، تاريخ مصر ، ص١٦٧ ، المقريزى الخطط جـ١ ، ص٤٦٧ ـ ٤٦٨ . ، على مبارك ، الخطط التوفيقية، جـ٣ ، ص٦٠ .

* وحل محل قصر اللؤلؤة الآن الدور والأبنية المجاورة لضريح الشعرانى (أثر رقم ٥٩) ، بشارع الخليج المصرى .

(٢) دار الذهب كانت تطل على شاطىء الخليج الشرقى ، بناها الوزير الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى ، وضم إليها داراً كانت تعرف بأسم دار الفلك كان قد بناها فلك الملك أحد الاستاذين بقصر الخليفة الحاكم ، وكان الأفضل ينتقل إلى دار الذهب إذا انتقل الخليفة إلى قصر اللؤلؤة ليكون قريباً منه ، وقد أسهب المقريزى فى وصف ما كان يرتب من أطعمة كل يوم وليلة لإقامة الخليفة الوزير بمنظرتى اللؤلؤة والذهب وما يصرف للحرس الخاص وحرس الوزير من أطعمة ووقود وشموع كما أسهب فى وصف مراسم الانتقال والاقامة وقد ذكر المقريزى موقع دار الذهب فقال : أن هذه الدار خارج القاهرة فيما بين باب الخوخة وباب سعادة ، وقد بنى مكان دار الذهب فى العصر المملوكى دار بأسم دار بهادر الأعسر ، ثم عرفت بدار الأمير الوزير المشير عبدالغنى الفخرى ، وكانت تقع بجوار مدرسته (أثر ١٨٠) من شرقيها . انظر :

المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص٤٧ ، جـ٢ ، ص٧٤ ، ٣٢٨ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٧٦،

محمد الكحلاوى ، مدرسة الأمير عبدالغنى الفخرى ، ماجستير "غيرمنشورة" (كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨١) ، ص١١٧ .

(٣) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٣ .

(٤) المقس قرية قديمة قبل الفتح الاسلامى وكان اسمها الرومانى Tandunias وقد أطلق عليها العرب العرب أم دنين، وكانت تطل على النيل مباشرة قبل أن ينحسر ، وكانت ميناءاً للقاهرة فى العصر الفاطمى ، وقد أنشأ الخليفة المعز لدين الله هناك دار صناعة السفن ، وقد أنشأ بها الخليفة الحاكم بأمر الله جامعاً عرف فى العصر المملوكى باسم جامع المقس وكان يطل على الخليفة الناصرى ، وقد عرف بعد ذلك بجامع أولاد عنان (جامع الفتح بميدان رمسيس حالياً) .

ويرجع تسمية القرية بالمقس نسبة للمكس وهى الضريبة التى كانت تحصل هناك حتى كانت ميناء القاهرة ، كما عرفت أيضاً باسم المقسم لأن العرب قسموا الغنائم التى حصلوا عليها أثناء الفتح هناك ، وغلب استعمال لفظ المقسم فى المصادر والوثائق العثمانية. وعند جامع المقس كان ينتهى السور الذى بناه قراقوش وزير السلطان صلاح الدين الأيوبى ليحيط بالقاهرة وظواهرها كما بنى قراقوش هناك برجاً بجوار الجامع محل المنظرة الفاطمية القديمة ، وكان الجامع يشرف على النيل مباشرة فى ذلك الوقت، وقد جدد الجامع قراقوش ثم جدده الوزير الصاحب شمس الدين عبدالله المقس وزير السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون فى سنة بضع وسبعين وسبعمائه وهدم البرج وعمل مكانه جنينة ، وكان النيل قد انحسر عند المكس حوالى سنة ٧٠٠هـ ، وقد ذكر=

وجنان الزهرى [١] ، وكان يشرف على النيل من غربيه (قبل أن ينحسر) ويشرف على الخليج الكبير من شرقية . [٢]

وفى أيام الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١ ـ ٤٢٧هـ / ١٠٢٠ ـ ١٠٣٦م) أمر بعد سنة ٤١٠هـ/ ١٠١٩ بإزالة أنشاب هذا البستان وأن يعمل بركة قدام منظرة اللؤلؤة ، وفى أيام الشدة الكبرى التى حدثت من سنة ٤٥٧هـ حتى سنة ٤٦٤ هـ [٣] فى خلافة المستنصرة بالله هجرت البركة وبنى موضعها عدة أماكن عرفت بحارة اللصوص إذ ذاك [٤] ، ولكنها عمرت مرات أخرى فى أيام الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥ ـ ٥٢٤هـ / ١١٠١ ـ ١١٣٠م) فى وزارة المأمون بن فاتك البطائحى (٥١٥ ـ ٥١٩هـ/ ١١٢١ ـ ١١٢٥م) حيث أزينت تلك الأبنية وعمق حفر الأرض وأجرى إليها الماء من خليج الذكر فصارت بركة عرفت ببطن البقرة [٥] .

واستمرت البركة على حالها حتى تعرضت للمحن التى حدثت أيام السلطان الملك العادل كتبغا سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م حيث حدث تقصير كبير للنيل فحدثت مجاعة ، وصارت البركة كيمان يعرف بكوم الجاكى مجاوراً ليدان القمح [٦] وصار ما حولها خراباً من أرض الطبالة حتى باب اللوق ، ويذكر " المقريزى" أيضاً أن البركة كانت أيامه خراباً " إلا موضع صغير منها كان الناس يجتمعون هناك للنزهة . [٧]

= المقريزى أنه أدرك المقس فى أيامه خطة فى غاية العمارة وبها عدة أسواق ويسكنها أمم من الاكراد والأجناد والكتاب وغيرهم .

* وكانت المقس تشغل المنطقة التى تحد من الغرب بشارع عماد الدين ومن الجنوب بشارع قنطرة الدكة وشارع القبيلة ومن الشرق بشارع الكنيسة المرقسية ومن الشمال بشارع بين الحارات وحتى ميدان رمسيس . انظر : المقريزى الخطط جـ٢ ص ١٢٣ ـ ١٢٤، ٢٨٣ ـ ٢٨٤ القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٣٦١ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٢٥٠ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، جـ٤ ، ص١٢٧ـ ١٢٩ . محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، ق١ ، ص١٢٨ـ ١٢٩ .

(١) عن جنان الزهرى ، ما سبق ، ص١٨٨ .

(٢) الخطط ، جـ٢ ، ص١٦٣ .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٠٥ ، ٣٢٦ ، جـ٢ ، ص٢ ، ١٠٠ ، ٢٦٥ .

(٤) المقريزى ، الخطط جـ٢ ، ص١٦٣ .

(٥) نفسه .

(٦) ميدان القمح قال عنه المقريزى "أن هذا المكان خارج باب القنطرة يتصل من شرقية بعدوه الخليج ومن غربيه بالمقس، و بعضهم يسميه ميدان الغلة ، وكان موضعاً للغلال أيام كان المقس ساحل القاهرة" . الخطط ، جـ٢ ، ص١٢٤ ـ ١٢٥ .

* ونلاحظ أن ميدان القمح (الغلة) ظل يستخدم فى تجارة وتخزين الحبوب فى العصر العثمانى وما بعده ، وقد وقع بمكانه فى خريطة الحملة الفرنسية وكالتين للقمح (رقم ٣١٥ فى المربع E- 8 ، رقم ٤٠٣ فى المربع D - 8.

* ويمثل موضع ميدان القمح الان النصف الشرقى من منطقة باب البحر .

وكانت البركة والمنطقة حولها تأخذ مياهها من خليج الذكر فلما طم وخربت مناظر اللوق سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م وصارت هذه البقعة مقطع طريق واستمرت على ذلك مدة طويلة لم يلتفت إليها أحد من الناس ، ثم أن أحد الناس أوصل الماء إلى أرض بركة الأزبكية عن طريق الخليج الناصرى فصار الماء يدخل إليها فى آخر الزيادة ويروى بعض أراضيها وتزرع بالبرسيم والشعير . (١)

عمارة البركة على يد أزبك :

كتب لنا المؤرخ ابن اياس ما قام به الأمير أزبك من ططخ (٢) من إصلاح للبركة وحفرها والعمارة الكبرى حولها ، تلك العمارة التى خلدت اسمه بخلود مدينة القاهرة ، وجعلت الأزبكية من أهم البقاع وأنزهها فى بقية العصر المملوكى وكل العصر العثمانى وعصر أسرة محمد على وظلت الأزبكية لوقتنا الحاضر من أهم احياء القاهرة وقلبها النابض بالحياة والحركة والتجارة قال «ابن اياس» عن موقع البركة قبل إصلاح أزبك " كانت هذه البقعة أرض ساحة خراب ذات كيمان فى أرض سباخ وبها أشجار أثل وسنط وبها مزار سيدى عنتر (٣) وسيدى وزير (٤) وغيرهما من الأولياء رضى الله عنهم وكان فى هذه الأرض جامع خراب يسمى جامع الجاكى (٥) وهو باقى إلى الآن" . (٦)

---

(١) ابن ياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١١٦ ـ ١١٧ .

(٢) الأمير أزبك من ططخ الأشرفى نسبة للأشرف برسباى ثم الظاهرى نسبة للظاهر جقمق ، جلبة تاجر المماليك ططخ من بلاد الجركس ، فاشتراه الأشرف برسباى سنة ٨٤١هـ فجعله أحد كتبته ، ثم انتقل لولده العزيز ، ثم اشتراه الظاهر جقمق فأعتقه وزوجه ابنته فلما ماتت تزوج أختها ، وقد تدرج فى الرتب حتى وصل إلى أمير مائة مقدم الف وهى أعلى رتبة فى رتب المماليك ، وكانت أهم وظيفة تقلدها أزبك هى آخر وظيفة له وهى أتابك العساكر أى مقدم المماليك السلطانية وقائد الجيش وذلك فى بداية حكم السلطان قايتباى سنة ٨٧٢هـ واستمر بها نحو ٢٨ عاماً ، وكانت له جولات عديدة فى التجاريد والحملات ، انتصر فيها على أعداء الدولة التركمانية المتاخمة لحدودها ، وكذلك انتصر على الدولة العثمانية عدة مرات .

وكان عظيم القدرة والمهابة ، حج عدة مرات ، وكان ينوب عن السلطان فى الاحتفال بكسر سد الخليج وإمارة الحج والسفارات وغير ذلك ، وكان عظيم الثراء وخلف ثروة طائلة ، وقد توفى يوم الأحد ٢٤ رمضان ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م عن عمر يناهز٨٤ عاماً ودفن بتربة استاذه الملك الظاهر جقمق وهى تربة قانى باى الجركسى . انظر : السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٢ ، ص ٢٧٠ـ ٢٧٢ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٤١١ ، ٤١٣ . ، أنا مارى شيل ، قال بعنوان "الاتابكى أزبك من ططخ مؤسس الأزبكية بالقاهرة ، عدد خاص من مجلة فكر وفن خاص بالقاهرة فى عيدها الألفى .

(٣) سجل مزار سيدى عنتر بخريطة الحملة الفرنسية برقم ١٠٤ فى المربع I -11 فى جنوب شرق البركة .

(٤) كان مقام سيدى وزير هذا يجاور جامع أزبك قد ورد ذكره فى كتاب وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٠ أوقاف ، ص ٣٢٠ .

(٥) جامع الجاكى كان فى المنطقة المحصورة بين شارع الأزهر وسكة المناصرة . انظر بالتفصيل : محمد رمزى ، تعليقة على النجوم الزهرة ، جـ ٩ ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٦) بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١١٦ .

وعن عمارة أزبك للبركة يقول "أنه حسن بيال أزبك أن يعمر مناخ لجماله [1] فى تلك البقعة وكان ساكناً بالقرب منها ، فلما عمر المناخ حلا له هناك العمارة فبنى القاعات الجليلة ثم الدوار والمقعد والمبيتات والحواصل وغير ذلك ثم أنه أحضر أبقار ومحاريث وجرف الكيمان التى كانت هناك ومهدها ثم حفر بها هذه البركة الموجودة الآن ، وأجرى إليها الماء من الخليج الناصرى ، وجدد عمارة قنطرة خليج الذكر التى كانت هناك ثم بنى على هذه البركة رصيفاً محتاطاً بها وتعب فى ذلك تعباً عظيماً حتى تم له ما أراد من ذلك فكان فى قوة الحر يدور خلف المحاريث فى الكيمان وغيرها وأصرف على ذلك مالا له صورة ما يزيد على مائتى الف دينار" . [2]

وعن عمارة منطقة الأزبكية يستطرد ابن اياس فيقول : " ثم شرعت الناس تبنى على هذه البركة القصور الفاخرة والأماكن الجليلة ، ولازالت تتزايد فى العمارة إلى سنة احدى وتسعمائة ، وقد رغب الكثير من الناس فى سكنى الأزبكية وصارت مدينة على انفرادها ، ثم أنشأ بها الجامع الكبير وجعل به خطبة وأنشأ به المئذنة العظيمة وجاء غاية فى الحسن والتزخرف والبناء . . ثم أنشأ حول هذا الجامع الربوع والحمامات والقياصر والطواحين والأفران وغير ذلك من المنافع وسكن فى تلك القصور وتمتع بها مدة طويلة حتى مات وبقى له تذكار بالأزبكية " .

ولما كملت عمارة الأزبكية ودخل الماء إلى بركتها أنعم السلطان قيتباى على الأتابكى أزبك بأرضها وكتب له بذلك مربعة شريفة ، وكانت أرض الأزبكية قبل اعتناء أزبك بها أرض محتكرة موقوفة على خزائن السلاح [3] منذ العصر الأيوبى" [4] .

---

(١) ذكر على مبارك أن مكان مناخ جمال أزبك اللوكاندة الخديوية ، وهى التى سميت فيما بعد بأسم فندق شبرد . الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٣٦٣ .

* وقد احترقت هذه اللوكاندة فى حريق القاهرة سنة ١٩٥٢ وبقى مكانها فضاءا عمل فى جزء منها الآن جراج متعدد الطوابق ، ويمثل مكان المناخ الآن المنطقة المحصورة بين شارع الجمهورية شرقاً وشارع عماد الدين غرباً وشارع سليمان الحلبى شمالاً وشارع ٢٦ يوليو جنوباً .

(٢) بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١١٧ .

(٣) قال القريزى عن حكر خزائن السلاح الذى يمثل موضع البركة " هذا الحكر كان يعرف قديماً بحرك الأوسية وهو فيما بين الدكة وقنطرة الموسكى ، وقفه السلطان الملك العادل أبو بكر بن ايوب على مصالح خزائن السلاح هو وعدة أماكن بمدينة مصر مع مدينة قليوب وأراضيها فى جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وستمائة وظهر كتاب الوقف المذكور من الخزائن السلطانية فى جمادى الاولى سنة خمس عشرة وسبعمائة فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقد خرب أكثر هذا الحكر وصار كيماناً " .

الخطط ، جـ ٢ ، ص ١١٩ . ، وانظر ايضاً :

على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٦٨ ـ ٦٩ .

(٤) بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١١٨ .

obeikandl.com

وقد قدرت مساحة البركة في العصر المملوكى بـ ٦٠ فداناً [١] واستمرت كذلك فى العصر العثمانى . [٢]

أما عن تاريخ أعمال أزبك بالأزبكية فقد ابتدأها فى شهر ذى الحجة سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٦م وفى جمادى الأولى سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٨م كان انتهاء عمارة قاعات الأزبكية وحضر الاحتفال بها السلطان قايتباى الذى بات ليلتها فى ضيافة أزبك [٣] . وفى جمادى الأولى سنة ٨٨٩ هـ/ ١٤٨٤م كان انتهاء المشروع ككل [٤] ، وفى سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م كان أول افتتاح لسد خليج بركة الأزبكية الذى يمدها بالماء [٥]

وبعد اكتمال الأزبكية ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م بدأ الرحالة الأجانب يكتبون عن الأزبكية وعن عمارتها الجديدة ومنهم الرحالة "فابرى" الذى أشاد بجمال وفخامة مساكنها وعن منظر البركة البهيج بعدما كانت المنطقة مجرد أدغال ومناطق ينبت بها البوص والحلفاء وكانت منطقة خطرة " [٦] .

وقد اصبحت الأزبكية بعد تعميرها بقعة قدر لها أن تشهد كثيراً من الأحداث السياسية والاجتماعية وكانت الاضطرابات السياسية على أشدها فى نهاية دولة المماليك ، وقد تأثرت منشآت الأزبكية بتلك الأحداث تأثراً كبيراً ونال بعضها التخريب والتحريق كالقاعات والقصور والربوع والدور حتى قناديل الجامع وحصره كانت تنهب فى تلك الأحداث ، ومن أهم الأحداث ما حدث فى شهر ذى الحجة سنة ٩٠٠ هـ أثناء الفتنة التى قام بها الأمير قانصوة خمسمائة أمير اخور كبير الذى اتخذ من الأزبكية مركزاً لتجميع قواته ضد منافسية ، ونال الأتابكى أزبك أذى كبير بسبب ذلك وكاد يقتل فطلب من السلطان قايتباى عزله ونفيه إلى مكة خوفاً على حياته ويرجع سبب ذلك لكونه صهرا للأمير قانصوة خمسمائه [٧] .

---

(١) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٢٥٠ .

(٢) من الجدير بالذكر هنا أن الرحالة عبدالغنى النابلسى الذى زار مصر فى سنة ١١٠٥هـ /١٦٩٣م ونزل ضيفاً فى دار اسرة السادة البكرية المطلة على البركة التى كانت وقتئذ مزروعة فتناقش فى مساحتها وهل هى اعرض من مرجة دمشق أم المرجة أعرض منها مما دعاة إلى قياسها بالذراع الذى حدده بثلاثة أشبار فكانت مساحتها ١٠٥٠ ذراعاً طولاً فى ٤٤٢ ذراعاً عرضاً . انظر : الحقيقة والمجاز ، ص ٢٨٧.

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١٣٤ .

(٤) Abouseif, Op. Cit., P.23

(٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٢١٩ .

(٦) Fabri, (F)., (1483), Le Voyage en Egpte Cairo , 1975, P. 919.

(٧) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٣١٠ ـ ٣١٤ .

وقد تكـــررت مثـــل تلك الحوادث بـالأزبكية مرات عـديدة مثلمـــا حدث فى جـمادى الآخر ٩٠٢هـ [١] ، وفى شوال ٩٠٦ هـ [٢] ، وفى رمضان ٩٠٧هـ [٣] ، وفى محرم ٩١٦هـ [٤] .

ومن الجدير بالذكر أنه قد خصص قصر أزبك بالأزبكية لمن يلى وظيفة أتابك مصر فى بقية العصر المملوكى مثل الأميرقصروة الذى كان نائباً للشام فلما تولى الأتابكية بمصر نزل بقصر أزبك فى جمادى الآخـــر سـنـة ٩٠٦هـ [٥] ، وكذلـك نـزل به الأتـابكى قيـت فى شوال ٩٠٧هـ [٦] أثنـاء سلطـنة الغورى، وكذلك نزل به الأمير أركماس الذى كان نائباً للشام وتولى الأتابكية فى مصر فى ذى الحجة ٩١١هـ [٧] .

وقد رأينا مـثل ذلك الأمر من قبل من تـخصيص بيوت على الـبرك للوظائف الكبـرى فى الدولة وهذا يدل على أهـمية البرك كمكان ارسـتقراطى متميز ، وكـان ذلك فى تخصيص قصـر على بركة الفيل لمـن يلى وظيفة أمـير اخور [٨] وكذلك تخصيـص قصر على نفس البركة لمن يلـى وظيفة أمير مجلس [٩] . وكذلك تخصيص قصر على بركة الرطلى لمن يتولى منصب الوزارة [١٠] .

تخطيط الأزبكية من خلال وثيقة أزبك :

سجل أزبك أعماله بالأزبكية بحجة وقـفه المؤرخة بـسنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥و والتى تحمل رقم ١٩٨ والمحفوظ بدار الوثائق القومية [١١] ، وقد فقد الجزء الأول منها الذى كان يحوى وصف الجامع [١٢] ولكن موقعة محدد فى مواضع أخرى من الوثيقة .

---

(١) نفسه ، جـ ٣ ، ص ٣٤٨ ـ ٣٥٠ .
(٢) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٥ .
(٣) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٧ .
(٤) نفسه ، جـ ٤ ، ص ١٧٨ .
(٥) نفسه ، جـ ٣ ، ص ٤٥٨ .
(٦) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٩ .
(٧) نفسه ، جـ ٣ ، ص ٩٢ .
(٨) انظر ماسبق ، ص ١٧٧
(٩) انظر ماسبق ، ص ١٧١
(١٠) انظر مابلى ، ص ٢٤٣ .
(١١) نقلت محتويات دار الوثائق القوميةمـن مبناها بالقلعـة الى مبنى ملحق بالهيئة المصرية العامة للكتاب برملة بولاق .
(١٢) هذا الجامع تالى فى تاريخه لـبناء القاعات ، وهو موقع على خريطة الحملة الفـرنـسية برقم ١٧٧ فى المربع I-11 وقد قام جراند بـك بعمل تخطيط لـه قبل هدمه سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩ . انـظر كراسات لجنة حفظ الآثـار لـسنة ١٨٩٤ تقرير ١٦٦ لوحة (١) .
*وكان الجامع يقـع بالقرب من مدخل شارع الأزهـر وأزيل ضمن ما أزيل فى تنـظيم ميدان العتبـة الخضراء وفتح شارع محمد على. انظر :
حسـن عبدالوهاب ، تخطيط القاهرة ، ص ٤٠ .

وقد بنى أزبك مجموعتين متقابلين من المبانى بينهما شارع مسلوك ،المجموعة الأولى تطل مباشرة على البركة والثانية تقابلها عبر الشارع ، وقد بنيت المجموعة الأولى أولاً ، وقد اختار أزبك موقعاً متميزاً لبناء منشآته على البركة فهى تقع بالجهة الشرقية منها لتستقبل الهواء والنسيم الذى يهب من الشمال الغربى .

ولم يكن بالموقع من أبنية سوى مزارى سيدى عنتر وسيدى وزير ، وكان القصر هو أول ما بناه أزبك وتلاه بناء الجامع والقيصرية وغيرها من المبانى التجارية .

ومن خلال الوثيقة نجد وصفاً شاملاً لتلك المنشآت وقد اتصفت بالفخامة والعظمة واتبعت الأساليب والتخطيطات المعمارية التى كانت سائدة فى زمنه ، وحفلت بالزخارف الرائعة [1] ، وشكلت تلك العمائر حياً متكاملا يحوى المنشآت الدينية مثل الجامع الذى قام أيضاً بدور خانقاة ترد الصوفية إليه ، وذلك حوت المنشآت الاجتماعية مثل الحمامات والسبيل والسواقى وحوض دواب ، كذلك حوت المنشآت التجارية مثل القيصرية والطواحين وغير ذلك .

وتصف الوثيقة أولاً العمارة البحرية المطلة على بركة الأزبكية وهى ثلاثة أماكن متجاورة ، والأول هو الدوار والثانى الحوانيت والربع فوقها والثالث سكن اينال شاد العمائر .

فأما الأول فهو الدوار:

وكان لهذا الدوار أحد عشر باباً ، الابواب الثلاثة الأولى كانت تؤدىْ فى الغالب إلى ثلاثة قصور سكنية بها قاعات سكنية كما يبدو مما تبقى من بداية الوثيقة [2] . وكان الباب الرابع يؤدى إلى مقعد [3] . والباب الخامس يؤدى إلى مطبخ واسطبل وساقية [4] والباب السادس يؤدى إلى شر ابخاناه خاصة بالامير أزبك [5] ، والباب السابع يؤدى إلى

---

(١) بالرغم من تلك الأوصاف التى نجدها بالوثيقة إلا أنه للأسف قد اندثرت كل المنشآت التى تنتمى لأزبك ، وكان من الممكن التعرف عليها من مثيلاتها التى أنشأها يشبك بن مهدى بالحسينية وهى مجموعته التى اتخذت متنزهاً كبيراً وكانت تضم بركة وبساتين وقاعات وأبنية أخرى اثنى عليها قايتباى وفضلها على مجموعة أزبك ولكن للأسف لم يتبق منها سوى قبته التى عرفت بأسم قبة الفداوية وهى على أية حال هى وقبته بحى القبة تعكس صورة حية لما كانت عليه كل من منشأت أزبك ويشبك ، ومهما كان التماثل فالأزبكية كانت فريدة فى كونها غيرت تخطيط المدينة وخففت المناخ أثناء الصيف .. Abousief (D)., Op. Cit., P. 29

(٢) سطور من ١ ـ ١٢٢ من الوثيقة .

(٣) سطور من ١٢٣ ـ ١٤٢ . وعن المقعد انظر مايلى ، ص

(٤) سطور ١٤٢ ـ ١٥٣ .

(٥) سطرى ١٥٣ ـ ١٥٤ .

* والشراب خاناه هى بيت الشراب ، وكانت تشتمل على أنواع الأشربة المرصدة للسلطان أو الأمير وكان بها الأوانى النفيسه . انظر : حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ ٢ ، ص ٦١٤ .

فراش خاناه [١] ، والباب الثامن يؤدى إلى طشت خاناه [٢] ، والباب التاسع يؤدى إلى رواق تركى [٣] ، والباب العاشر يؤدى إلى كرسى راحة [٤] ، والباب الحادى عشر يؤدى إلى حاصل [٥] .

وقد ذكرت حدود هذا المكان كالتالى : كان الحد القبلى ينتهى إلى الطريق المسلوك وفيه واجهة هذا المكان وبابه الأصلى ومطل الشباك الذى بمبيت المقعد المذكور والحد البحرى ينتهى إلى بركة الأزبكية وفيه واجهة القيطون والقاعتين والقصر والمقعدين مطل ذلك على البركة الأزبكية ، والحد الشرقى ينتهى إلى مكان يعرف بإنشاء الجناب السيفى الزينى سالم [٦] ، والحد الغربى ينتهى بعضه إلى الربع المعروف بإنشاء الواقف (أزبك) ، وباقية إلى الرواق والاسطبل المعروفين بإنشاء الواقف وبسكن الجناب السيفى اينال شاد العمائر بخدمة الواقف .

أما المكان الثانى فى العمارة البحرية الملاصق للمكان الأول فهو يشتمل فى سلفه على عشرة حوانيت صف واحد ، كل حانوت يشتمل على مسطبة ودراريب وداخل ومنافع وحقوق ، ويشتمل علوة على ربع يتوصل إلى بابه من استطراق مشترك بين الربع المذكور وبين المكان الثالث المعروف بسكن السيفى اينال شاد العمائر [٧] ، وهذا الربع يحتوى على صف من عشر طباق كلها مطلة على الشارع المسلوك [٨] .

أما عن حدود المكان الثانى فإن الحد القبلى ينتهى إلى الشارع المسلوك وفيه واجهة الحوانيت المذكورة ومساطبها وواجهة الطباق ومطل طاقاتها ، والحد البحرى ينتهى إلى معالم المكان الأول المعروف بالقصر ، والحد الشرقى ينتهى إلى المكان الأول والحد الغربى ينتهى إلى الاستطراق المشترك بين رفع هذا المكان وبين المكان الثالث [٩] .

---

(١) سطرى ١٥٤ ـ ١٥٥ .

* والفراش خاناه هى بيت الفراش وكان يشتمل على أنواع الفرش من البسط والخيام .

انظر : حسن الباشا ، نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ٨٠٤ .

(٢) سطور ١٥٥ ـ ١٥٨ .

* والطشت خاناه هى بيت الطشت . انظر : حسن الباشا ، نفس المرجع ، ص ٧٤٢ .

(٣) سطور ١٥٨ ـ ١٦٤ .

(٤) سطرى ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٥) سطرى ١٦٦ ـ ١٦٧ .

(٦) ورد ذكر الزينى سالم فى المقامة القادرية التى أوردها ابن اياس فى كتابة المخطوط " نزهة الأمم فى العجائب والحكم " .

وعن تلك المقامة ، انظر مايلى : ص ٥٤٧ .

(٧) سطور ١٧٤ ـ ١٧٨ .

(٨) انظر وصف هذا الربع بالكامل فى سطور من ١٨٧ ـ ١٨٤ .

(٩) سطور ١٨٤ ـ ١٨٨ .

أما المكان الثالث من العمارة البحرية وكان ملاصقاً للمكان الثانى من الجهة الغربية فهو المكان المعروف بسكن السيفى اينال شاد العمائر [١] .

أما عن حدوده فإن الحد القبلى كان ينتهى إلى الشارع المسلوك وفيه روشن الرواق الذى على الطريق وطاقاته وواجهته وبابها والاستطراق الذى من داخل الواجهة وهو المشترك المعين أعلاه ، والحد البحرى ينتهى إلى البركة الأزبكية وفيه مطل الرواق الثانى والحد الشرقى ينتهى بعضه إلى الربع والحوانيت التى بالمكان الثانى وباقية إلى المكان الأول والحد الغربى ينتهى إلى مكان يعرف بملك السيفى قان بك قريب الواقف (أزبك) [٢] وهذا آخر وقف الأماكن التى بالعمارة البحرية .

أما العمارة القبلية التى بها الجامع المعمر بذكر الله تعالى والتى أماكنها متجاورة متلاصقة صف واحد يفصل بينها وبين العمارة البحرية الشارع المسلوك ، فتشتمل على أماكن متعددة وأبوابها ثمانية عشر باباً فى صف واحد يفتح من الغرب إلى الشرق كالتالى :

- الباب الأول يؤدى إلى فرن [٣] .
- الباب الثانى يؤدى إلى طاحون [٤] .
- الباب الثالث يؤدى إلى حانوت [٥] .
- الباب الرابع يؤدى إلى طاحون [٦] .
- الباب الخامس والسادس لخونتين كل منهما بصفة الحانوت [٧] .
- الباب السابع يؤدى إلى حمام للنساء [٨] .
- الباب الثامن والباب التاسع والباب العاشر والباب الحادى عشر إلى حوانيت [٩] .
- الباب الثانى عشر إلى حمام الرجال [١٠] (رقم ١٧١ فى المربع I-11 فى خريطة الحملة) .

---

(١) انظر وصف هذا السكن بالكامل فى سطور ١٨٩ ـ ٢٣٣ .
(٢) سطور ٢٣٣ ـ ٢٣٨ .
(٣) سطور ٢٤١ ـ ٢٤٨ .
(٤) سطور ٢٤٨ ـ ٢٥٠ .
(٥) سطور ٢٥٠ ـ ٢٥٢ .
(٦) سطور ٢٥٢ ـ ٢٦٢ .
(٧) سطرى ٢٦٢ ـ ٢٦٣ .
(٨) سطور ٢٦٣ ـ ٢٨٢ .
(٩) سطرى ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .
(١٠) سطور ٢٨٤ ـ ٢٨٧ .

obeikandl.com

- الباب الثالث عشر والباب والباب الرابع عشر والباب الخامس عشر لحوانيت [1] .

- الباب السادس عشر يؤدى إلى مجاز متسع أرضى مشترك الاستطراق بين الجامع وبين مقام سيدى عتر وبين الميضأة وبين منافع متعلقة بالحمامين ، وبه سلم يؤدىْ من ناحية إلى طبقتين ومن الناحية الأخرى إلى ربع من ١٦ طبقة منهم ١٥ صفاً واحد تشرف على الشارع وكان يوجد ٥ مخازن على يسار الممر تحت الجامع وعلى يسار الداخل أيضاً باب قاعة خطيب الجامع ويليه باب يدخل منه إلى مجاز به مقام سيدى عبدالقادر الصابر وعلى يمين الممر باب يؤدى إلى رحبة متسعة وبها باب يؤدى إلى رواق ، وبآخر الممر حديقة تضم ساقية تمد الحديقة والحمامين والميضأة بالماء اللازم [2] .

- والباب السابع عشر والباب الثامن عشر يؤديان لمخازن تحت الجامع [3] .

وإلى الشرق من هذه العمارة كان يوجد الجامع ذو الأعمدة وبالناحية الشرقية منه كان يوجد سبيل يعلوه كتاب .

وإلى الغرب من هذه العمارة استجد ازبك بناء قيسارية [4] سنة ٨٩٠هـ ، وقد وصفت تلك القيسارية بأنها تتكون من ٨٩ حانوتاً و٢٩ مقعداً ،يتوسطها (صحن مستطيل) بوسطة فوارة ، وربما كانت القيصرية تتكون من عدة طبقات فوق بعضها البعض ، ولم تذكر الوثيقة أى طباق سكنية بالقيصرية ، وكان يوجد على جانبى القيسارية أربعة حوانيت اثنان على كل جانب ، وقد كانت القيصرية تقع غرب الفرن .

وقد استجد ازبك غيط جنوب القيسارية وبحره غربها [5] .

---

(١) سطرى ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

(٢) سطور ٢٨٩ ـ ٣٣٥ .

٣) سطرى ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

(٤) كانت القياسر نوعاً من الأسواق حيث أنها تضم عدداً من الحوانيت للتجارة كما أنها كانت تختص بنوع من البضائع وإن كانت اسماؤها لا تنطبق على مايباع فيها من بضائع ، وهى إن تشابهت فى المعنى العام إلا أنها لم تكن فى حجمها أو تخطيطها مشابهة للأسواق فهى فى الحجم يمكن أن توضع مع السويقات أى يمكن اعتبارها سوقاً صغيرة. اما من ناحية التخطيط فهى وإن كانت تحتوى على دكاكين إلا أن هذه الدكاكين لم تكن مبنية على جانبى الشارع مثل الأسواق بل إن كل قيسارية كانت قائمة بذاتها يمتلكها فرد ومن الجائز أن يتوارثها افراد .
وكانت إما متسطيلة أو مربعة تصطف الدكاكين بداخلها وكان لها أبواب خارجية تبلغ أحياناً سبعة أبواب تغلق ليلاً وكان يقوم على حراستها حارس أو حارسان وكان يعلو هذه المحلات ربع يسكنه الاجانب وغيرهم . انظر :
آمال العمرى ، أضواء على المنشآت التجارية فى مصر المملوكية ، بحث فى مجلة كلية الآثار ، ١٩٧٨ ، ص٦٧ ـ ٦٨ .

(٥) ظهر الوثيقة سطور ٨٠ ـ ٤٨ .

وقد وقع بخريطة الحملة الفرنسية درب يسمى درب البحره (رقم ١٦١ فى المربع K-11 وقد ذكرت حدود القيسارية فى الوثيقة كالآتى : الحد القبلى ينتهى إلى الغيط المستجد الانشاء ، والحد البحرى ينتهى إلى . . . والحوانيت الأربعة المذكورة ، والحد الشرقى ينتهى إلى الفرن المذكور بعضة وباقية إلى الساقية التى برسم الجامع وفيه باب سر السقيصارية المذكورة والحد الغربى ينتهى إلى البحرة الآتى ذكرها فيه بعضه وباقيه إلى الغيط الموعود بذكره أيضاً [١]

وقد وقع بخريطة الحملة الفرنسية درب الوكالة (رقم ١٦٢ فى المربع K-11 حيث حل لفظ الوكالة بدلاً من القيسارية فى العصر العثمانى .

وكان يجاور القيسارية أيضاً حوض معد لسقى الدواب [٢] وكذلك عدة مخازن وعدة طباق سكنية تعلوه [٣] .

أما الغيط فوصف بأنه كان كبير ويقع غرب وجنوب القيسارية وبه كثير من أنواع الأشجار المثمرة وبه بئر وساقية بجوار المخازن والحوض [٤] .

وقد كان لازبك عدة بساتين وبيوت منتشرة حول البركة وفيما بينها وبين الخليج [٥] مما كان له أكبر الأثر فى اطلاق اسمه على الحى كله بجدارة واستحقاق .

بركة الأزبكية فى العصر العثمانى :

بعد وفاة أزبك مؤسس الأزبكية قل الاهتمام بعمارتها بل أن منشآتها تعرضت للنهب والتخريب أيام السلطان الغورى [٦] ، وتعرضت للدمار أكثر أثناء الغزو العثمانى لمصر [٧] .

وبدأ الاهتمام يعود للأزبكية بشكل واضح فى القرن ١١هـ/ ١٧م فقد بدأت بعض الأسر الثرية من الشيوخ والتجار فى البناء حول البركة وتبعهم كبار الأمراء [٨] ، وكان أكبر عمران لها فى القرن ١٢هـ/ ١٨م إذ خفت حولها بيوت الأمراء من أصحاب الوظائف الكبرى فى الدولة ، وكذلك كبار

---

(١) سطور ٨٤ ـ ٨٧ .
(٢) سطور ٨٧ ـ ٩٠ .
(٣) سطرى ٩٠ ـ ٩١ .
(٤) سطرى ٩١ ـ ٩٢ .
(٥) سطور ٩٦ ـ ١٠٢ .
(٦) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص١٣٧ .
(٧) نفسه ، ص١٩٦ ، ٢٣٣ .
(٨) اندرية ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى ، ص١٨٢ .

obeikandl.com

التجار ، كما أنها تميزت بصفة خاصة باقامة كبار الشيوخ والسادة الأشراف وأصحاب الطرق الصوفية لبيوتهم حول البركة [١] .

وعمرت الأخطاط حول البركة عمارة كبيرة فى العصر العثمانى ، وكان للأقباط حى خاص بهم فى شمال البركة المعروف الآن بحارة النصارى [٢] ، بالإضافة لتواجدهم أيضاً جنوب شرق البركة حول جامع عثمان كتخدا . وفى شمال البركة أيضاً عمر خط قنطرة الدكة [٣] ، وفى شمال شرق البركة تكثف العمران واختط خط الرويعى [٤] حول جامع الرويعى [٥] ، وفى جنوب شرق البركة عرفت المنطقة بأسم العتبة الزرقاء [٦] وكانت أشد المناطق ازدحاماً بالعمارة حول البركة ، وفى جنوب

---

(١) من كبار الشيوخ والسادة الأشراف الذين اقاموا بالأزبكية فى النصف الثانى من القرن ١٢ هـ / ١٨م الشيخ عبدالله الشبراوى شيخ الأزهر المتوفى فى ٦ ذوى الحجة سنة ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م . وكان بيته بمنطقة الرويعى على البركة الجبرتى ، جـ١ ، ص٢٩٥ ـ ٢٩٧ .

وكذلك ابنه عامر المتوفى فى ٢٩ محرم ١١٩٢ هـ / ١٧٧٨م كانت داره قرب دار ابيه .

الجبرتى ، جـ١ ، ص٥٢٩ .

كذلك سكن حول البركة السيد الشريف محمد بن حسين الحسينى العادلى الدمرداش المتوفى ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م .

الجبرتى ، جـ١ ، ص٣٣١ .

والشيخ المرحومى (ت ١١٧٨ / ١٧٦٥م) ، وكذلك الشيخ حسن المقدسى وكان بيته مطل على البركة مباشرة (ت ١٨ جمادى الآخر ١١٨٢هـ ١٧٦٨/م) . الجبرتى ، جـ١ ، ص٤٣٠ .

وكذلك الشيخ محمد الجزايرلى (ت١١٧٨هـ / ١٧٦٥م) الجبرتى ، جـ١ ، ص٤٣٠ .

وكذلك الشيخ احمد المغربى (ت ١٧ ربيع أول ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م) . الجبرتى ، جـ١ ، ص٤٧٠ .

وكذلك السيد الشريف محمد هاشم الاسيوطى (ت ١١٩١هـ / ١٧٧٧م) الجبرتى ، جـ١ ، ص٥٠٩ .

والشيخ أحمد الحموى (ت ١١٩٩هـ ١٧٨٥م) وكان بيته بخط الساكت على البركة . الجبرتى ، جـ١ ، ص٦٠٥ ـ ٦٠٦ .

(٢) وقع خط حارة النصارى برقم ٢٥٧ فى المربعين F - 13, F - 12 فى خريطة الحملة الفرنسية ، ووقع وصيف حارة النصارى برقم ٢٥٥ فى المربع G - 12 .

(٣) وقعت حارة قنطرة الدكة برقم ٣٤٧ فى المربع G- 14

(٤) وقعت حارة الرويعى برقم ١٩٤ فى المربع G -11 وضريح الرويعى برقم ١٩٦ فى المربع G-11 وسبيل وكتاب الرويعى برقم ١٩٧ فى المربع G-11 ، وسكة الرويعى برقم ٢٠١ فى المربع G- 11.

(٥) أنشأ هذا الجامع السيد أحمد الرويعى شاه بندر التجار بمصر فى القرن ٩هـ/ ١٥م . انظر على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٠٣ ، جـ٤ ، ص٢٤٨ .

* وقد وقع هذا الجامع برقم ١٩٨ فى المربع G-11 فى خريطة الحملة .

وهذا الجامع لا يزال عامراً ويحمل رقم ٥٥ فى فهرس الآثار الاسلامية بمدينة القاهرة .

(٦) سجلت منطقة العتبة الزرقاء برقم ١٦٩ فى المربع K-11 والمربع I-11 ووقع باب العتبة الزرقاء برقم ١٧٩ فى المربع I- 11 .والعتبة الزرقاء هذه التى اصبحت علماً على المنطقة كانت عتبة قصر الأمير رضوان كتخدا الجلفى وكان لونها أزرق .

غرب البركة عمر خط الساكت [١] ، وكانت العمارة قليلة غرب البركة وظلت المنطقة شبه ريفية إلى وقت طويل فى العصر العثمانى إلا أنه من منتصف القرن ١٢هـ/ ١٨م بدأ الأمراء يزحفون عليها بعد امتلاء الجانب الشرقى للبركة [٢]

وكانت الأزبكية موضع عناية الولاة فى العصر العثمانى فكانوا يحرصون دائماً على تعميرها فعلى سبيل المثال أنه وقع حريق فى سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م فى حى الساكت على البركة كان سبباً فى تلف كثير من الدور الكبيرة ، غير أن ولاة الأمور وقتئذ حتموا سرعة تعميرها لدرجة أنهم الزموا غير القادرين على التعمير ببيع ما يملكون لمن يستطيع التعمير ، وهكذا تم تعميرها فى أقرب وقت فلم يحل ميعاد الفيضان الثانى حتى كانت الأزبكية أبهج وأحسن مما كانت عليه [٣] .

وكان للبركة الدور الأول فى زمن الحملة الفرنسية على مصر فقد اتخذوها مقراً لقيادتهم ومسكناً ومتنزهاً لهم فقد اغتصبوا كثيرا من قصورها ودورها وأقاموا فيها ، وأنشأوا أيضاً مسرحاً كوميدياً لهم، كما أقاموا مطاعم وملاهى خاصة بهم حول البركة ، وكذلك بدأوا فى شق الطرق الواسعة حولها [٤] ، وقد شهدت البركة الكثير من الأحداث فى ربوعها فى زمن الحملة الفرنسية ، كما كانت مسرحاً للمعارك الحربية فى اثناء ثورتى القاهرة ضد الحملة الفرنسية [٥] .

وظلت البركة قائمة حتى أيام الخديوى اسماعيل حيث بدأ تنظيمها وتحويلها إلى حديقة كبيرة وإنشاء المسارح والملاهى بها ، وشق الطرق الحديثة حولها وإزالة الترب والكثير من الحارات والبيوت والمنشآت الأخرى على النمط الأوربى [٦] .

الدور والقصور الشهيرة حول البركة :

تميزت الدور والقصور حول البركة مباشرة بالفخامة والجمال ، وقد أبيح بعضها للناس للتمتع من خلالها بالتنزه وقت الفيضان ، كما كان لبعضها مكانة كبيرة بين الناس ، وكانت مشغولة دائماً

---

(١) وقع ضريح الساكت برقم ٣٠٦ فى المربع I-13 ، وكتاب الساكت برقم ٣٠٠ فى المربع I- 13 كما وقعت حارة الساكت برقم ٣٤٣ فى المربع H-14

(٢) اندرية ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعية ، ص١٩٤ .

(٣) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ، ص٤٨٦ .

حسن عبدالوهاب ، تخطيط القاهرة ، ص٤٣ .

* وقد ذكر الجبرتى فى هذه المناسبة أن الأمير رضوان بك بلغيا عمر داراً عظيمة هناك ، وكذلك الخواجا السيد عمر غراب ، والسيد أحمد عبدالسلام ، والحاج محمود محرم .

(٤) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٢٠١ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٣٤٢ ، ٤٠٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

(٥) نفسه جـ ٢ ، ص ٣٢٠ - ٣٤٢ ، ٤٣٣ - ٤٣٥ ، ٥٦١ - ٥٧٠ .

(٦) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٢٥١ .

والمترددين مثل دار السادة البكرية [1] التى كانت تشرف مباشرة على الشاطىء الجنوبى للبركة وكانت تقع بدرب عبدالحق السنباطى [2] ، بخط الساكت [3] الذى كان يشغل الجهة الجنوبية الغربية للبركة ، وكان درب عبد الحق هذا يقع غربى مجموعة أزبك ، ويمثل موقع دار البكرية [4] الآن المبنى المواجه لمصلحة البريد على ناصية شارع البيدق أمام جراج الاوبرا الذى حل محل دار الأوبرا القديمة .

وقد تنوعت أملاك السادة البكرية على البركة ما بين الدور والحدائق والحمامات والوكائل والأسواق وغير ذلك [5] ، وقد نزل الرحالة "النابلسى" ضيفاً عليهم بذلك البيت أثناء رحلته ، وكان يحتفل فى هذا البيت بالمولد النبوى الشريف .

---

(١) السادة البكرية ينتمون إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ويذكر "على مبارك" أن وجودهم بمصر يرجع إى ماقبل سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م ، وكان شأنهم محدوداً فى الدولة المملوكية ، ولما فتح العثمانيون مصر منحوا شيخ البكرية امتيازات لم تكن له من قبل منها الأوقاف العديدة ومنها أنهم جعلوه شيخاً لمشايخ الطرق الصوفية ومشرفاً على أوقافها ، وكان شيخ البكرية يجمع أحياناً بين الخلافة البكرية ونقابة السادة الاشراف .
وكان الكثير من السادة البكرية على جانب كبير من العلم وكان منهم أدباء حملوا لواء الأدب والشعر والعلوم الدينية فى العصر العثمانى .
وكانوا أيضاً على جانب كبير من الثراء فاستطاعوا بناء القصور الفخمة وخصوصاً على برك القاهرة والخليج . انظر:
الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٥٦٦ ، جـ٣ ، ص٢٥٠ .
المحبى ، خلاصة الأثر فى اعيان القرن الحادى عشر ، ط المطبعة الوهبية ، مصر ، ١٢٨٤هـ ، جـ١ ، ص١١٧ - ١١٨ . ، جـ٢ ، ص١٩٦ - ١٩٩ .
على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٤١٥ - ٤٥٠ .
محمد سيد الكيلانى ، الادب المصرى فى الحكم العثمانى ، نشر دار الفرجانى ، القاهرة ، ص٧٠ - ١٣٤ .
محمد توفيق البكرى ، بيت الصديق ، القاهرة ، ١٣٢٣هـ .

(٢) كان عبدالحق السنباطى قاضيا شافعياً أيام السلطان الغورى ، وقد تولى مشيخة الصوفية بجامع أزبك بالاضافة للعديد من الجوامع والمدارس الاخرى ، وقد توفى سنة ٩٣١هـ / ١٥٢٤م وتوارث أبناءه منصب القضاء الشافعى . انظر :
السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ٤ ، ص٣٧ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ٤ ، ص١٢٠ ، الغزى ، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، (ط بيروت ، ١٩٧٩م) ، جـ١ ، ص٢٢١ .
* وللشيخ عبد الحق السنباطى جامع موقع بخريطة الحملة الفرنسية برقم ٢٥٣ فى المربع K-12 ، وهذا الجامع لايزال موجوداً ، وهو صغير ومجدد ويقع بدرب عبدالحق خلف سينما أوبرا .

(٣) وقعت حارة الساكت برقم ٣٤٣ فى المربع H-14 بخريطة الحملة الفرنسية،كما وقع مكان تحت اسم الساكت برقم ٣٠٦ فى المربع L-13،كما وقع كتاب الساكت برقم ٣٠٠ فى المربع I-13 أى أن خط الساكت جنوب غرب البركة .
* هذا ويوجد زاوية صغيرة بها ضريح بأسم الشيخ محمد الساكت بالقرب من شارع علوة الكوم الذى يصل بين شارع الأزهر وشارع الموسكى بالقرب من ميدان العتبة وبذلك يكون موقع الزاوية فى الجنوب الشرقى لبركة الأزبكية وبعيدة بعض الشىء عن خط الساكت الذى وقع بخريطة الحملة الفرنسية .

(٤) وقع بيت البكرى برقم ٢٥٣ فى المربع K-12 فى خريطة الحملة .

(٥) وقع جامع البكرى برقم ١٦٣ فى المربع K-12 ، سبيل البكرى بجواره (رقم ١٦٤ المربع K-12 وسوق البكرى برمق ٢٤٣ فى المربع K-12 ، وسكة سوق البكرى برقم ٢٥٠ المربع K-12 .

ومن الدور العظيمة على الشاطىء الجنوبى لبركة الأزبكية وتوارث سكناها أغنى أغنياء مصر فى القرن ١٢هـ/ ١٨م دار الشرايبى وكانت أسرة الشرايبى أكبر تجار مصر فى ذلك القرن ، وهذه الدار كما يقول الجبرتى "هى أحدى دور المجد والفخر والعز ، وكانت تتكون من اثنى عشر مسكناً متجاوراً كل مسكن منها كان بيتاً متسعاً على حدته ، وكانت هذه الدار ملتقى أمراء مصر وأدبائها وضيوفها ، وكانت تقع مقابل جامع أزبك . (١)

ثم انتقلت ملكية الدار إلى الأمير رضوان كتخدا الجلفى (٢) (ت ١١٦٨ هـ/ ١٧٥٥م) ، فأدخل عليها تعديلات ووسع حدائقها وأباحها للنزهة لكافة الناس وخاصة أيام الفيضان ، وكان على باب هذه الدار العمودان الملتفان المعروفة عند أولاد البلد بثلاثة ولية (٣) ، وعقد على مجالسها العالية قباباً عجيبة منقوشة بالذهب واللازورد والألوان والزخارف الدقيقة وعمل بوائك على البركة مباشرة كانت بمثابة سوق عامرة وقت الفيضان ، وكانت هذه الدار بفخامتها وبذخ أثاثها موضعاً للشعراء . (٤)

---

(١) أسرة الشرايبى من أصل مغربى ، وكان أفرادها أكبر تجار فى مصر فى القرن ١٢هـ/ ١٨م، ومن أبرزهم محمد الدادة أبو القاسم الشرايبى المتوفى يوم السبت ١٦ رجب سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م، ومنهم قاسم الشرايبى بن الحاج الداده وهو الذى أسس جامع الرويعى وقد توفى يوم السبت ١٢ ربيع الآخر ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م ، وكذلك أحمد بن محمد الشرايبى المتوفى سنة ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥ وكان من أعيان التجار المشهورين كأسلافه ، وكانت أسرة الشرايبى فى غاية الغنى والرفاهية ويتمتعون بمكارم الأخلاق والإحسان ، وكان يتردد إلى منزلهم العلماء والفضلاء ، وكان لديهم مكتبة كبيرة مفتوحة للإعارة والاطلاع ، وكان صالونهم الأدبى لا ينقطع . انظر بالتفصيل :

أحمد شلبى ، أوضح الاشارات ، ص٥٨٩ .

الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ، ص١٣٧ ، ١٣٨ ، ٢٦١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٢) رضوان كتخدا الجلفى كان مشاركاً ابراهيم كتخدا القازدوغلى فى السيطرة على مصر ، وكان منصرفاً إلى لذاته وفسوقه وخلاعاته ونزهاته ، وكان يتجاهر بالمعاصى والراح والوجوه الملاح وتبرج النساء ومخاليع أولاد البلد ، وكما يقول المثل "الناس على دين ملوكهم" ، لذا فقد تأثروا بذلك الجو فخرجوا عن الحد فى تلك الأيام ، وقد توافد على رضوان كتخدا الأدباء والشعراء ولهم فيه مدائح كثيرة .

وإلى رضوان كتخدا تنسب عمارة باب العزب بالرميلة بالقلعة ، وقد آلت إلية سواء بطريق شرعى أو غير شرعى جملة غيطان حول البركة وبالمقسم وقنطرة الدكة عمل بها قصوراً وبركاً صناعية عديدة ، وكانت له قصور عديدة أخرى بالقاهرة وغيرها يتنقل فيما بينها للنزهة وخصوصاً أيام فيضان النيل ، وقد توفى سنة ١١٦٨هـ/ ١٧٥٥م وعنه بالتفصيل انظر : الدمرداش ، الدرة المصانة ز ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ص٢٨٤ ـ ٢٨٩ .

(٣) المقصود بثلاثة أوليه الأعمدة المفرغة المكتنفة للشباك الصغير الذى يقع بالمداخل ذات العقود المداينية (الثلاثية) .

حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ص٣٥٨ .

* ثم أطلق الجزء على الكل فعرفت الدار كلها بالثلاثة ولية .

(٤) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ، ص٢٨٥ .

ثم أنتقلت ملكية الدار بعد ذلك للأمير محمد بك أبو الذهب [١] الذى كان قد تزوج محظية رضوان كتخدا المذكور [٢] ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الأمير طاهر باشا الكبير [٣] ثم إلى ملك أحمد باشا طاهر [٤] فهدمها ووسعها بدور بجوارها وشيدها مرة أخرى وأحكم بناءها واستمرت بيد ورثته إلى أن اشتراها عباس باشا الأول فهدمها ووسعها وبناها بناءاً فخماً لوالدته ، ومنذ ذلك الوقت أطلق على تلك المنطقة اسم العتبة الخضراء بدلاً من العتبة الزرقاء ، وبقيت الدار إلى زمن الخديوى اسماعيل ، ثم لما حصل التنظيم بالأزبكية أخذ منها جزء كبير بسبب التنظيم وبقى منها جزء كان به المحكمة المختلطة . [٥]

ويمثل موقعها الآن الحديقة التى تقع وسط الميدان العتبة وجزء من مبنى مطافىء القاهرة وقسم الموسكي [٦] .

وكما كان ابراهيم كتخدا الانكشارية [٧] شريكا لرضوان كتخدا فى ممارسة السلطة فقد جاوره فى الإقامة الأزبكية إيضاً فكان بيته مجاورا لبيت رضوان ، وبيت ابراهيم كان فى الأصل ملك محمد

---

(١) انظر ترجمته فيما سبق ، ص٢٣٤ .

(٢) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٧٩ .

(٣) هو الأمير الكبير طاهر باشا الأرنؤوطى ، تولى مصر ٢٦ يوماً فقط ، وقتل فى رابع صفر ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م ، ودفن بقبته ببركة الفيل الملحقه بجامع حسن باشا طاهر انظر : الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ٢ ، ص٥٧٥-٥٧٦ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٨١-٣٨٢ . ، حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ص٣٥٧ .

(٤) هو الأمير حسن باشا طاهر الذى يقال أنه ابن اخت محمد على باشا ، وكان ناظراً على ديوان الجمارك ببولاق ، وقد توفى فى جمادى الثانية ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م ودفن بقبته (أثر رقم ٥٦٥) التى كانت واقعة جنوب مسجد السيدة زينب ثم دخلت ضمن مساحة المسجد فى التوسعات المتوالية له .

الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ١ ، ٥٩٠ - ٥٩١ .

على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٨٢ - ٣٨٣ .

(٥) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ٣ ، ص٣٧٩ .

(٦) حسن عبدالوهاب ، الأزبكية ماضيها وحاضرها ، مقالة بمجلة الهندسة ، عدد مارس ١٩٣١ ص ٨٤ ، تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها ، ص٤٤ ، اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى ، ص١٨٤ .

(٧) الامير ابراهيم كتخدا انتهت له السيادة مصر هو وقسيمة رضوان كتخدا الجلفى ، وكان هو الذى يتولى الحكم بشكل فعلى بينما كان رضوان منكباً على ملذاته ، وقد امتلك عدة دور وقصور بالقاهرة منها دارة المجاورة لدار رضوان الجلفى قوصون ، ودار بباب الخرق وهى دار زوجته بنت البارودى ، والقصر المنسوب لها بمنطقة مصر القديمة ، والقصر عند سبيل قايماز بالعادلية .

وقدمات على فراشة فى صفر ١١٦٨هـ / ١٧٥٤م ، وهى نفس السنة التى مات فيها رضوان الجلفى . انظر : الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٤ .

شلبى بن ابراهيم الصابونجى [١] ، وقد أعطى وجود هذان الاميران الشريكان لحى الأزبكية فى منتصف القرن ١٢هـ / ١٨م مكانة اجتماعية كبيرة استمرت بعد ذلك [٢] .

وكان للأمير عثمان كتخدا القازدوغلى [٣] أراضى وحدائق ومبانى عديدة بدرب عبد الحق السنباطى مجاورة لأملاك السادة البكرية ، كان قد حصل عليها بطريق الشراء والاستبدال وأقام بجوارها جامعة (أثر ٢٦٤) برصيف الخشاب [٤] المطل على البركة من جانبها الجنوبى الغربى ، وألحق به سبيلاً وكتاباً وبنى بجواره أيضاً حماماً ، كما أنشأ على شاطىء البركة الجنوبى قصراً ذا قاعات ومقاعد ومناظر مطلة مباشرة على البركة بالإضافة لذلك أنشأ منشآت تجارية مثل الحوانيت المتاخمة للجامع وربع كبير وحوشين وساقية وفرن واسطبلات وغير ذلك [٥] .

وقد اندثرت كل تلك المنشآت ما عدا الجامع المعروف الآن بجامع الكيخيا ويطل على شارعى الجمهورية وقصر النيل ، وكان قد بدأ بنائه سنة ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م ، واحتفل بتلك المناسبة احتفالاً كبيراً ، وقد أوقف عليه الأمير أوقافاً عديدة [٦] .

ومن الدور الكبيرة التى كانت تشرف على البركة بدرب عبدالحق الدار التى أنشأها على بك

---

(١) مات الأمير ابراهيم شوربجى الصابونجى عزبان فى شوال ١١٣١هـ / ١٧١٩م ، وسبب تسميته بالصابونجى انه كان متزوجاً بابنه الحاج عبد الله الشامى الصابونجى ملتزم وكالة الصابون ، وكان له عزوة عظيمة ومماليك وأتباع . انظر:

الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص١٧٠ - ١٧١ ، ٢٩٢.

اندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

(٢) اندرية ريمون ، المرجع نفسه ص١٨٤ .

(٣) هو الأمير عثمان كتخدا القازدوغلى تابع الأمير حسن جاويش القازدوغلى ، ترقى فى الرتب حتى صار كتخدا (وكيل) طايفة مستحفظان ، وصار من كبار الأمراء وأحد المتحكمين بمصر وله كلمة مسموعة وحرمة وافرة ، وقد ساعدته ظروفه على اقتناء ثروة كبيرة ، ومن منشآته بالقاهرة بخلاف ما عمره بالأزبكية منشآت خيرية عديدة منها زاوية العميان ورحبة ورواق الاتراك ورواق السليمانية ، كل ذلك بالأزهر الشريف ، وقد رتب مرتبات كبيرة من وقفة . وقد قتل سنة ١١٤٩ / ١٧٣٦م انظر :

الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٤) سجل رصيف الخشاب برقم ٢٩٤ فى المربع K-13 فى خريطة الحملة الفرنسية .

(٥) كتاب وقف الأمير عثمان كتخدا رقم ٢٢١٥ أوقاف .

(٦) كتاب الوقف رقم ٢٢١٥ أوقاف ، أحمد شلبى ، أوضح الاشارات ، ص ٥٧٧ .

وعن الجامع وتخطيط المنشآت ، انظر :

حسن عبدالوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٦ .

Abouseif .(D),Op.Cit.,PP.55-58

الكبير [١] بجوار بيت البكرية ، وقد توفى بها سنة ١١٨٧ هـ / ١٨٧٣م وقد أنشأها لمحظيته نفيسة خاتون [٢] وألحق بها حوضاً وساقية وطاحون .

ولما مات على بك الكبير تزوج الأمير مراد بك من نفيسة خاتون وأقام معها بالرغم من أنه كان يملك بيتين اخرين بنفس المنطقة [٣] ، وكان على بك يعقد الديوان بهذه الدار حتى كادت أن تكون مقر الحكومة [٤] ، وكانت هذه الدار مجاورة لدار السيد خليل البكرى وكلاهما هدم عندم الأزبكية ومحلهما عند ميدان الأوبرا الآن . [٥]

ومن القصور العظيمة على الشاطىء الغربى للبركة وكان له شان كبير فى القرن ١٢هـ / ١٨م القصر الذى كان للسيد ابراهيم بن السيد سعودى اسكندر أحد فقهاء الحنفية ، وقد أباحة للجمهور وجعله متنزهاً عاماً [٦] .

---

(١) هو الأمير على بك الكبير المشهور أيضاً بعلى بك بلوط قبان الكبير ، واشتهر ايضاً بجن على ، وهو الذى لعب أكبر دور المماليك أثناء الحكم العثمانى لمصر . فقد استطاع أن يستقل بحكم مصر والشام والحجاز ، ووطد حكمه وقضى على الفتن والقلاقل ، واستتب الأمن فى عهده واستقر استقراراً لم يعرف قبله ، وكاد ينجح فى مسعاه للعودة بمصر كسلطة مستقلة ومركز الخلافة الاسلامية كما كانت أيام دولة سلاطين المماليك لولا خيانة قائد جيوشه وزوج ابنته محمد بك أبو الذهب الذى اتفق مع العثمانيين فانقلب عليه وتغلب عليه ، وجرح على بك فى معركة معه فتوفى متأثراً بجراحه بعد اسبوع من اصابته فى منتصف صفر ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣م ، ودفن بتربة استاذه ابراهيم كتخدا بالقرافة الصغرى بالامام الشافعى (أثر رقم ٣٨٥) . وقد تمتع على بك بشخصية فذة ، وكان له العديد من العمائر بمصر واصلاحه وتجديده لبعض العمائر الهامة مثل قبة الأمام الشافعى وعمارته لجامع السيد البدوى بطنطا وانشائه سبيلاً وقيصرية وخان هناك ، وكان له قيصرية وخان ببولاق . انظر بالتفصيل الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص٤٣٠ ــ ٤٣٧ .

(٢) هى نفيسة خاتون إحدى المعمرات الخيرات ، كانت تتمتع بالعز والسيادة والكلمة النافذة ، وقد تزوجت مراد بك بعد موت على بك الكبير ، وظلت مكانتها مرموقة حتى وفاتها يوم الخميس ٢٠ جمادى الأولى ١٢٣١هـ / ١٨١٦ ، وقد دفنت بقرافة الامام الشافعى ، واليها ينسب السبيل بباب زويلة (أثر ٣٥٨) ، والوكالة بجواره (اثر ٣٩٥) .انظر : الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص٥٣٨ - ٥٣٩ .

(٣) هما البيتان الموقعان برقمى ٢٩٨ فى المربع K-13 ، ورقم ٢٤٧ فى المربع K-12 فى خريطة الحملة الفرنسية .

(٤) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص٢٤٦ ، ٤٣٧ .

اندريه ريمون ، المرجع السابق ، ص١٩٤ ـ ١٩٥ .

Abouseif ,Op . cit,. P. 61

(٥) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص٣٨٨ .

حسن عبدالوهاب ، الأزبكية ، ص ٨٥ .

(٦) ذكر الجبرتى فى هذا الأمر "انه جعل فى أسفل القصر قناطر وبوائك ناحية البركة وجعلها برسم الفرجة لعامة الناس فكان يجتمع بها عالم من أجناس الناس أولاد البلد شىء كثير وبها قهاوى وبياعون وفكهانية ومغانى وغير ذلك ، ويقف عندها مراكب وقوارب بها من تلك الأجناس فكان يقع بها وبالجسر المقابل لها من عصر النهار إلى آخر الليل من الخظ والتزاهة ما لا يوصف انظر :

عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ٥٦٧ .

ثم انتقل القصر إلى ملكية الأمير أحمد اغا شويكار فباعة إلى الأمير محمد بك الألفى [1] فى سنة ١٢١١هـ / ١٧٩٦م فهدمه وأضاف إلى مساحته دارين آخرين كائنا بجواره [2] ، وأنشأ مكانهم جميعاً قصراً كبيراً وضع تصميمه بنفسه [3] لأنه كان مغرماً بالهندسة ، وألحق به حديقة كبيرة .

وقد أنجز العمل بالقصر فى آخر شهر شعبان ١٢١٢هـ / ١٧٩٨م ولم يمكث به الألفى سوى عشرين يوماً حتى أتت الحملة الفرنسية فسكنه بونابرت وجعله مقراً لقيادته ، ثم اتخذه كليبر ومن بعده مينو أيضاً مقرا لهما بعد أن قاموا بعمارته بما يتفق مع مساكنهم فى فرنسا .

وقد تعرض القصر للاحتراق والدمار فى ثورة الجند الأرناؤوط ضد خسرو باشا سنة ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م بالرغم من أنه لم يصبه شىء من قبل فى المعارك أثناء ثورة القاهرة سنة ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م والتى استمرت ٣٦ يوماً متواصلاً حوله ، كما قام محمد على بإصلاح القصر وسكنه ثم أعطاه لكريمته زينب هانم وعرف بها . [4]

وكان هذا القصر يقع على بركة الأزبكية فى المنطقة التى يمثلها الآن أول شارع الألفى الذى تسمى باسمه .

ومن البيوت التى ورد ذكرها بالوثائق والمصادر بخريطة الحملة الفرنسية والتى كانت تطل على البركة مباشرة بيت الشيخ الجوهرى ١٨٣٠ مربع H-11) شرق البركة ويجاوره سبيل الشيخ الجوهرى

---

(١) الألفي هو الأمير محمد بك الألفى المرادى ، كان من كبار الأمراء فى نهاية الدولة العثمانية ، وقد لعب دوراً كبيراً فى الدولة ، وكان شجاعاً فارساً ومماليكة أكفاء مدربين ، وكان له أملاك عديدة وعدة بلاد تجرى فى اقطاعه ، وكان له اهتمامات علمية وأدبية ، وكان يملك عدة قصور ودور بالقاهرة منها دار وحمام بخط نور الظلام ببركة الفيل ودار بخط قوصون ودار بدرب سعادة ، وكان له قصر كبير بمصر القديمة بشاطىء النيل تجاه المقياس ، وأنشأ ايضاً قصراً بالقرب من الدمرداش وجعل غالب اقامته فيهما ، وكان كثير التنقل بأقاليم مصر ، وكان له دور كبير فى مقاومة الحملة الفرنسية وقد توفى سنة ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م وبموته اضمحلت دولة المماليك وصفا الجو لمحمد على باشا ليرسخ قواعد دولته انظر:
الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص١٤٧ ـ ١٧٣ .

(٢) هذان الداران كان يملكهما رضوان بلغيا ، والسيد أحمد عبدالسلام . انظر :
الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٤٨٦ ، جـ ٢ ، ص ١٢٢ .

(٣) يتضح لنا من وصف الجبرتى للقصر أنه بنى على نسق القصور الأوربية فلم يجعل له خارجات حرمدانات ولا رواشن بارزة عن أصل البناء حرصاً على المتانة وطول البقاء كما جعل به الكثير من الشبابيك ذات الزجاج ، وجعل به قاعات واسعة بها عدة نافورات جميلة وجعل به حمامين ، وقد فرشه جميعاً بالفرش الفاخر ، وعلق به الستائر الجميلة ، وكان يتكون من طابقين ، وقد جعل بدائر حوشه عدة كبيرة من الطباق لسكنى المماليك انظر :
الجبرتى ، عجائب الاثار ، جـ ٢ ، ص ٥٦٨ .

(٤) نفسه ، جـ ٢ ، ص٥٦٨ ، ٥٦٩ .

(١٨٤ المربع H-11) وكذلك بجواره جامع الشيخ الجوهرى (١٠٨ المربع H-11) [١] ، وكذلك الدار الكبيرة والقصر والحديقة المثمرة لأسرة غراب المغربية بخط الساكت على البركة [٢] ، وكذلك كان للست صالحة خاتون بنت عبد الله قصر يطل على البركة من الجهة الغربية ، وهذا القصر كان قد أوقفه عليها زوجها الخواجا محمد بن حسن الشهير بالكريمى [٣] ، وكذلك ورد بالخريطة بيت على بيه سليم (١٠٦ المربع I-11) جنوب شرق البركة ، وبيت يحيى كاشف (١١٢ المربع H-11) شرق البركة ، وبيت الشيخ المهدى (١٦٠ الربع G-12) شمال البركة [٤] ، وبيت مرزوق بك ابن ابراهيم بك (٦٦ المربع K-11) جنوب شرق البركة ، وبيت ابيه ابراهيم بك (١٦٧ المربع K) بجواره ، وبيت بشير أغا (١٧٨ المربع I-11) جنوب شرق البركة أيضاً وبجوارة بيت ايوب بك الكبير (١٨٠ المربع I-11) بجوارهما ، وكذلك بيتى اسماعيل بك (١٨٧ المربع H-11 ، ١٨٨ المربع H-11) شرق البركة [٥] ، وبيت عثمان بك الأشقر (٢٤٩ المربع K-12) جنوب البركة بجوار قصر الالفى ، وبيت الشيخ البكرى (٢٥٣ المربع K-12) جنوب البركة وبيت مراد بك (٢٩٨ المربع K - 13) جنوب البركة، وبيت محمد أغا (٢٩٩ المربع K - 13) جنوب البركة، وبيت عثمان أغا الخازندار (٣٠٧ المربع I-13) غرب البركة ، وبيت قائد اغا الذى جعله الفرنسيون الديوان قرب الرويعى (١٩٠ المربع G-11) [٦] شمال شرق البركة ، وبيت الأمير أحمد اغا الخازندار المعروف بيونابرته جهة الرويعى [٧] ، وكذلك بيت سليمان أغا كبير الأرناؤوط [٨] ، وبيت سليم بك المجاور لبيت الدادة أبى القاسم الشرايبى [٩] ، وبيت الشيخ محمد علاء الدين البابلى [١٠] ، وبيت مصطفى أغا المزين فى سوق الرحلة فى العتبة الزرقاء [١١] .

---

(١) انظر الوثيقة رقم ٢١٨٨ أوقاف ، الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ٢٤١ .

(٢) Zouri, (Ali) , Le Waqfiyya de abd al Aziz Gurab al Maqribi al Safaqusi Ann Isl XVII (1980) PP 311-332

(٣) الوثيقة رقم ٢٧٨ أوقاف بتاريخ ١١٨٠ هـ .

(٤) انظر ترجمة الشيخ المهدى فى : الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٤ ، ٤٩٧ ــ ٤٩٨ .

(٥) الجبرتى ، عجائب الآثار جـ ١ ، ص ٤٨٦ ، جـ٢ ، ص ٧٦ ، ٩٤ ، ١٢٣، ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٦) نفسه ، جـ ٢ ، ص١٩٥.

(٧) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٥٣٨ .

(٨) نفسه ، جـ ٣ ، ص١٤ .

(٩) نفسه ، جـ ١ ، ص ١٤٣ .

(١٠) نفسه ، جـ ١ ، ص ٢٨٠ .

(١١) الدمرداش ، الدرة المصانة ، ص ١١٢.

بركة الرطلى بأرض الطبالة

كانت بركة الرطلى من أحسن منتزهات مصر فى العصرين المملوكى والعثمانى ، وكانت تشغل الجزء الشمالى الشرقى من أرض الطبالة [1] التى كانت متنزهاً منذ زمن الدولة الفاطمية .

موقع البركة ومساحتها :

وقعت هذه البركة هى خريطة ورمز لها بحروف r ، كما وقعت على خريطة الحملة الفرنسية تحت رقم ٤٣٤ فى المربعين B-9,B-10 وكان طولها نحو ٣٥٠ متراً وعرضها المتوسط حوالى ١٠٠ متر، ومساحتها تقرب من تسعة أفدنة [2] .

ويتضح من الخريطة أيضاً أن العمارة كانت تتمثل فى الجهة الجنوبية الشرقية فقط وباقى وما حول البركة بساتين وحقول وبعض الكيمانات ، وقد زالت البركة وردمت من أتربة تلك

---

(١) يتضح لنا مما ذكره المقريزى عن أرض الطبالة فى الخطط (جـ ٢ ،ص ١٢٥) ، وكذلك ما ذكره عنها ضمن كلامه عن جزيرة الفيل جـ ٢ ، ص١٨٥) أن أرض الطبالة كانت من أحسن منتزهات القاهرة ، وكان النيل يحدها غرباً (قبل انحساره فيما بعد) وبركة بطن البقرة (الأزبكية) والبساتين بجوارها تحدها جنوباً ، والخليج المصرى شرقاً، ومن شمالها أرض البعل التى تتمثل الآن فى جزء من الشرابية ومهمشا .

* وتتمثل أرض الطبالة الآن فى المنطقة السكنية التى تحد من الشرق بشارع الخليج المصرى ومن الشمال بشارع الظاهر فشارع وقف الخربوطلى وما فى امتداده حتى يتقابل مع شارع مهمشا ومن الغرب بشارع غمرة إلى ميدان رمسيس الآن حيث كان النيل يجرى قديماً ، ومن الجنوب بشارع الفجالة وبسكة الفجالة ، ويدخل ضمن نطاق أرض الطبالة الآن حى الفجالة وجزء من حى الظاهر وجزء من حى الشرابية .

* وحتى أواخر القرن الماضى كان النصف الغربى من هذه المنطقة وما جاورها من الغرب أرض زراعية يزرع فيها الخضروات وعلى الأخص الفجل فاشتهرت الأرض باسم غيط الفجالة نسبة للذين يزرعونه ، ولما عمرت تلك الجهة سمى الطريق الذى كان يجاور هذا الغيط من الجهة القبلية (الجنوبية) باسم شارع الفجالة .

* أما عن سبب تسميتها بأرض الطبالة فيرجع إلى أن الخليفة الفاطمى المستنصر بالله وهبها لمغنيته المسماه نسب الطبالة عندما غنت له بمناسبة الدعاء له على منابر بغداد عاصمة الخلافة العباسية السنية مدة ٤٠ اسبوعاً فى الحركة التى قام بها القائد التركى البساسيرى ، وقد طرب المستنصر من غناءنسب الطبالة فقال لها تمنى على فطلبت منه تلك الأرض فوهبه إياها .

* وكانت أرض الطبالة تتوالى عليها الأزمنة ما بين التعمير حيناً والتخريب حيناً آخر ، وظلت طوال تاريخها عامرة بالبساتين والحقول حتى تم بنائها فى نهاية القرن الماضى وقد تميزت أرض الطبالة فى العصر المملوكى بزراعة الحشيش بها الذى كان له تأثير سلبى كبير فى حياة المصريين آنذاك . انظر :

على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٢٦٥ .

محمد رمزى ، تعليقة على النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٢ ، جـ ٧ ، ص ٣٨٩ .

(٢) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٢٦٤ .

الكيمانات فى مدة حكم الخديوى اسماعيل أيام نظارة على باشا مبارك لديوان الأشغال وتحولت أراضيها حينئذ للبناء [١] .

والبركة كانت تشغل المنطقة المحصورة الآن بين شارع الظاهر شمالاً وغرباً وشارع غالى وما فى امتداده جنوباً ، وشارع موازى لشارع البكرية شرقاً [٢] .

أسماء البركة:

كانت هذه البركة أول أمرها تعرف ببركة الطوابين من أجل أنه كان يعمل فيها الطوب [٣] ، ثم عرفت ببركة الحاجب بعد سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م نسبة إلى الأمير بكتمر الحاجب [٤] لأنها كانت بيده وضمن اقطاعه [٥] ، اما تسميتها ببركة الرطلى والتى شاعت بعد ذلك وظلت الغالبة عليها فترجع إلى أنه كان شرق هذه البركة زاوية بها نخل كثير وفيها شخص يسمى خليل الرطلى [٦] كان يصنع صنج الأرطال التى يزن بها الباعة فسماها الناس بركة الرطلى نسبة إليه وكان ذلك من زمن الناصر محمد أيضاً [٧] . وذكر "المقريزى" أن نخيل هذه الزاوية بقيت قائمة بالبركة إلى مابعد سنة تسعين وسبعمائة [٨] .

---

(١) نفسه .

(٢) ذكر المرحوم "محمد رمزى" أن الحد الغربى للبركة كان يتمثل فى شارع يوسف سليمان والحد الجنوبى يتمثل فى شارع حبيب شلبى والحد الشرقى يتمثل فى شارع البكرية . انظر :
تعليقة على النجوم الزاهرة ، جـ ١١ ، ص١٧١ .
* ولكن بمطابقة خريطة القاهرة للآثار الاسلامية وخريطة الحملة الفرنسية وجدت أن الحدود التى ذكرتها أعلاه تتطابق مع الحدود التى كانت عليها البركة .

(٣) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ .
* يبدو أن عمل الطوب بالبركة استمر قائما فى العصر العثمانى ايضاً إذ أن الخليج الناصرى فى الجزء الموازى للبركة عرف فى العصر العثمانى باسم خليج الطوابة ووقع بهذا الاسم فى خريطة الحملة الفرنسية برقم ٤٣٦ فى المربع A-9 ، وكان الطوب يصنع من تلال الطمى التى كان يستخرج منها ومن الخليج الناصرى عند تنظيفه .

(٤) كان بكتمر الحاجب من كبار أمراء الناصر محمد ، وقد توفى سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧م انظر بالتفصيل : ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ، جـ ٣ ، ص ٣٨٦ ـ ٣٩٠ .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ .

(٦) توفى الشيخ خليل الرطلى سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م ودفن فى زاويته التى حولت لجامع بركة الرطلى وعملت له قبة فيه . انظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٢٦ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق١ ، ص ٤٥٦ .

(٧) المقريزى ، الخطط ، جـ ٣٢٦ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق١ ، ص ٤٥٦ .

(٨) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ .

obeikandl.com

ايقـاف البركة :

كانـت هـــذه البركة أولاً مقاطـع لـلطيانةً وأنعم السلـــطان الناصر بأرضها وأرض الطـبالة على الأمير بكتـــمر الحاجـب فصارت فـى اقطاعه [١] فأوقفها وظـلت جارية فى وقفة حتى نهـاية العصر المملوكى [٢] ، وفى العصر العثمانى انتقل وقفها للسادة البكرية [٣] .

العمران حول البركة فى العصر المملوكى :

كانت البركة مجرد أرض زراعية منخفضة من جملة أراضى الطبالة ، وكانت تزرع قرطاً (برسيماً) وغيره ، فلـما شرع الملك النـاصر محمد بن قلاوون فـى حفر الخليج النـاصرى طلب الأمير بـكتمر الحاجب من المهـندسين أن يجعلوا حفر الخـليج يمر موازياً للجـانب الشمالى للبركـة ويصب ماؤه فى الخليـج الكبيـر ، ففعلـوا ذلك [٤] ، وصارت البـركة تملأ كل عام من الخـليج الناصرى فـى موسم الفيضان من عند طرفها الغربى كما يتضح لنا من خريطة الحملة الفرنسية .

وفى نفس السنة التى حفر فيها الخليج الناصرى أى سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥م عمل بكتمر الحاجب جسراً بين الخليج والـبركة (وهو المبين بخريطة الحملة الـفرنسية) وأذن للناس بالبناء فيـه فحكر وبنيت فوقه الـــدور وصارت تشرف من ناحـية على البركـة ومن الناحية الأخـرى على الخليج ، وكـثر بناء المناظر علـى الجسر وصار من أنزه فرج القـاهرة ، وتتابع الناس فى الـبناء حول البركة حتـى لم يبق حولها مكان خال [٥] .

واستمرت البركة عامرة حتى تعرضت كغيرها من أنحاء القاهرة وظواهرها للمحن والأحداث التى بدأت فى سنة ٨٠٦هـــ / ١٤٠٣م حين قصر النيل وشرقـت البلاد ووقع غلاء عظيم فـخرجت بقاع القاهرة وخـصوصاً ظواهرها ، إلا أن هذه الأزمـات لم تدم طويلاً ، وعاد التـعمير للبركـة كما كان واستمر بناء الدور والقصور والمناظر ذات المقاعد والطاقات المشرفة على البركة .

وعن العمائر الدينية التى تخدم سكان البركة نجد أنه كان لبركة الرطلى جامع وموقعة شرقى البركة فى مـوضع زاوية الرطـلى [٦] ، وقد أنشىء لما عمـرت البركة ، وكان أول أمره ضيقاً قصـير السقف وعمل فيه قبة تحتها قبر الشيـخ خليل بن عبد ربه المتوفى سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م [٧] ، وكان عـامراً

(١) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ .
(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٥٦ .
(٣) أوقاف السادة البكرية ، (أوقاف خاصة) .
(٤) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ .
(٥) المقريزى ، الخطط جـ ٢ ، ص ١٦٢ ، ١٦٦ .
(٦) نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٢٦ .
(٧) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ .

بالزيارة ، ولما سكن الوزراء فى العصر المملوكى بجواره فقد حظى باهتمامهم فتمت به عدة تجديدات وعمارات منها عمارة الوزير الصاحب سعد الدين ابراهيم بن بركة البشيرى [١] ، الذى كان يسكن بجوار الجامع فهدمه ووسعه وبناه سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م وجعل به خطبة وأوقف عليه أوقافاً إلا أن ولده استولى على وقفه [٢] ، وظل الجامع يحظى بعناية من يسكن بجواره من أرباب الوظائف فداوموا على رعايته وفرشه وإصلاحه ومنهم القاضى علم الدين شاكر بن الجيعان المتوفى فى ربيع الآخر سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م [٣] .

ولما مات الشيخ يوسف الحريشى أحد اتباع العنانية فى سنة ٩٢٤هـ / ١٥١٨م ودفن بالجامع فعرف الجامع يومئذ بجامع الحريشى [٤] .

وفى سنة ٩٢٥هـ / ١٥١٩ عمره المقر شهاب أحمد الجيعان نائب كاتب السر فى هذه السنة وجعل للجامع دروساً للفقه وتدريس الحديث [٥]

وقد وقع الجامع فى خريطة الحملة الفرنسية باسم جامع الخربوطلى برقم ٤١٧ فى المربع C-8 بالركن الجنوبى الشرقى للبركة نسبة لتجديد الأمير على كتخدا متحفظان الخربوطلى [٦] ، والجامع لا يزال عامراً للآن وموقع بخريطة القاهرة للآثار الاسلامية لوحة (١) فى شمال المربع ٢ وباسم جامع الجريشى [٧] فى شارع الحريشى المتفرع من شارع حبيب شلبى .

وكان يوجد بالقرب من البركة جامع يسمى جامع صاروجا على الخليج الناصرى شمال البركة وقد أنشأه ناصر الدين محمد أخو الأمير صاروجا نقيب الجيش بعد سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م أيام الناصر

---

(١) ولد البشيرى فى ذى القعدة سنة ٧٦٦هـ / ١٣٦٥م ، وتنقل فى الخدم الديوانية حتى ولى نظر الدولة ثم رقى إلى وزير سنة ٨١٢هـ / ١٤٠٩م أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق وباشر الوزارة بضبط إلا أنه تأثر بعصره وتعسف فى أخذ الأموال حتى صرف من الوزارة أيام السلطان المؤيد شيخ ٨١٦ هـ / ١٤١٣ ، وقد توفى فى صفر ٨١٨هـ/ ١٤١٥م ودفن بالقرافة انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ص ٣٢٧ العينى ، عقد الجمان (بدون ناشر، ص ٢٥٢ ، ابن الصيرفى نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٣٦١ ، ابن حجر العسقلانى ، انباء الغمر ، جـ ٣، ص ٧٦ ، السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص ٣٣ . ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٩ .

(٢) ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٣ ، ص ٣٦١ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ١٣٣,

(٤) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٢٦٤ .

(٥) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٢٩٩ ــ ٣٠٠ .

(٦) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٣٩٦ .

(٧) ينطق الناس كلمة الحريشى بالتاء بدل الشين فيقولون جامع الحريتى .

محمد [١] ، وكانت الخطة عامرة حوله إلا أنها تعرضت للاندثار بعد ذلك وصارت كيماناً ، ولكن المقريزى يذكر أن الجامع ظل تقام به صلاة الجمعة فى أيام النيل [٢] ، ويذكر على مبارك أنه لم يبقى لهذا الجامع أى أثر وخطته صارت مزارع وأدراك هناك أشجار من الجميز كانت متنزهاً وكان محلها يعرف بدهليز الملك . [٣]

أما عن الدور والقصور حول البركة فبعد الاطلاع على المصادر والوثائق يتضح لنا أنها تنتمى لطبقة متميزة فى المجتمع المصرى زمن المماليك والعثمانيين أيضاً ، فمنذ عمارتها فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون وحتى نهاية العصر العثمانى كان يسكن حول البركة أصحاب سلطة ونفوذ فى المجتمع خلا تقريباً من العامة، فعلى البركة بيت الوزراء يسكنه من يلى الوزارة فى العصر المملوكى وكان يقع بجوار الجامع [٤] .

كذلك بنى أصحاب الوظائف الهامة بيوتاً وقصوراً حول البركة من مباشرى الدولة من الوزراء والاستادارات والأمراء والكتاب والقضاة والمحتسبون [٥].

وكانت توجد عائلات بعينها تتوارث الوظائف الهامة اتخذت من بركة الرطلى مقراً لهم مثل عائلة ابن الجيعان الذين استمروا اكثر من مائة وعشرين سنة فى خدمة الدولتين المملوكية والعثمانية ، وكانوا يتوارثون وظيفتى ديوان الجيش والخزانة ، وكانت دورهم بجوار جامع البركة وقاموا بإصلاحه عدة مرات [٦] .

كذلك سكن بالبركة أيضاً عائلة ابن مزهر وقد توارثوا وظيفة كاتب السر وكان لهم مكانة رفيعة فى المجتمع المملوكى [٧].

---

(١) ذكر المقريزى أن أخا الامير صاروجا هو الذى بنى الجامع بينما ذكر ابن اياس أن صاروجا هو صاحب الجامع .
انظر الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣١٥ ، بدائع الزهور ، جـ ١ ، ق١ ، ٤٦٣ .

(٢) الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ، ص ٣١٥ .

(٣) الخطط االتوفيقية ، جـ ٥ ، ص ٩٢ .

(٤) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ٤١٦ .

* وقد سبق أن رأينا هذا التخصص من قبل فى كون بيت من يلى وظيفة أمير اخور على بركة الفيل ومن يلى منصب أمير مجلس على بركة الفيل أيضا ، وعلى بركة الازبكية خصص بيت لمن يلى منصب الاتابكية .

(٥) ابن الصيرفى ، نزهة النفوس ، جـ ٢ ، ص ٣٦١ .

(٦) السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ١١ ، ص ٣ــ ٤ . ،
ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١٣٣ ، جـ ٥ ، ص ٢٩٩ ــ ٣٠٠ ، ٢٥٦ ، ٤٨٧

(٧) ابن اياس ، نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، جـ ٤ ، ص ٦٧ .

وكانت البيوت حول البركة حافلة البنيان مليئة بالزخارف والأثاث والمفروشات الأنيقة حتى أن أحد البردارية [١] انشأ بيتاً على بركة الرطلى غرم عليه نحو خمسين ألف دينار . [٢]

كان السلاطين أحياناً ينزلون ضيوفاً على الوزراء والقضاة فى بركة الرطلى ويحتفل بهم احتفالات كبيرة ، منهم السلطان المؤيد شيخ الذى كان ينزل فى بيت صلاح الدين خليل بن الكويز ناظر ديوان المفرد فى سلطنته [٣] ، وكذلك السلطان الملك الأشراف قانصوة الغورى كان ينزل فى ضيافة المحتسب الزينى بركات بن موسى [٤] .

ومما يدل على نفوذ وثراء من كان يسكن حول البركة فى العصر المملوكى أنه فى جمادى الأولى ٩١٧هـ / ١٥١١م ، أمر السلطان الغورى بمنع جماعة من مباشريه من السكن بالبركة بحجة تضييع الأموال هناك ، فلم يسكن بها أحد من المباشرين ولا القضاة فى هذه السنة ، وأهملت البركة فى هذه السنة وقلت فيها البهجة ولم يسكن بيوت الجسر إلا القليل [٥] .

وممن كان له دور وأبنية على بركة الرطلى ، الأمير عبدالغنى الفخرى الاستادار المتوفى ٨٢١هـ / ١٤١٨م ، وهو صاحب المدرسة المعروفة بأسم جامع البنات بشارع الخليج المصرى (بورسعيد) (أثر رقم ١٨٤) ، فقد كان له بناءان متقابلان يشرفان من ناحية على بركة الرطلى ومن الناحية الأخرى على الجسر ، كما كان له بناءان آخران على البركة بدرب الحاج سعد [٦] وهو الذى صادره الملك المؤيد شيخ .

---

(١) البردارية مفردها بردار وهو الذى يكون فى خدمة مباشرى الديوان فى الجملة ، يتحدث عن أعوانه والمتصرفين فيه انظر : القلقشندى، صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٦٨ ــ ٤٦٩ .

(٢) اسم هذا البردار هو الحاج سعد ، وقد صادره السلطان المؤيد شيخ فى خمسين ألف دينارفى شوال سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤م، وقد أطلق على الدرب الذى فيه هذا البيت أسم درب الحاج سعد حيثما ورد فى وثيقة عبد الغنى الفخرى رقم ٧٢ بدار الوثائق . انظر أيضاً :
العينى ، عقد الجمان ، (بدون ناشر) ، ص ٢٠٨ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٧ .

(٣) المقريزى ، السلوك ، جـ ٤ ، ص ٥٢٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ١٤ ، ص ٩٤ .

(٤) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ص ٢٧٤ .

(٥) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٣٤ .

(٦) ورد فى وثيقة الأمير عبدالغنى الفخرى رقم ٧٢ المحفوظة بدار الوثائق القومية والمؤرخة فى ١٦ رمضان ٨٢٠هـ ، انه من ضمن أوقافه "جميع البنائين المتقابلين القائمين على الأرض المحتكرة بظاهر القاهرة المحروسة خارج باب الشعرية بالجسر بالأوسط المطل أحدهما على بركة الحاجب والآخر على الخليج الناصرى ، الأول يشتمل على قاعة معلقة مرخمة ورواق مسطل على البركة المذكورة ورواق مطل على الجسر ، ولهذا البناء الأول حدود أربعة : الحد القبلى ينتهى إلى ملك اللحام ، والحد البحرى ينتهى إلى ملك الجباس ، والحد الشرقى ينتهى إلى الجسر وفيه بابان وطبقتان من حقوقه والحد الغربى ينتهى إلى البركة المذكورة ، والبناء الثانى يشتمل على واجهة مبنية من الحجر النحيت (٠٠٠٠) زريبة وله حدود أربعة الحد القبلى ينتهى إلى زريبة هناك بنى الآن مسجد والحد البحرى ينتهى إلى ملك البجاسى والحد الشرقى إلى الجسر والحد الغربى ينتهى إلى الخليج الناصرى وورد إيضاً أنه ضمن =

وكان القاضى عبدالباسط ناظر الجيش صاحب المدرسة بالخرنفش (أثر رقم ٦٠) ، يملك داراً على البركة وكان ينزل عنده القضاة ويقضون أمسيات بها خاصة أيام النيل [١] .

وكان شيخ الاسلام الحافظ بن حجر العسقلانى يملك داراً على بركة الرطلى أقام فيها زمنا [٢] .

كذلك كان القاضى موفق الدين ناظر الجيش بالشام المتوفى سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧١م ، بيت بدرب الطباخ ببركة الرطلى كان ملتقى لاجتماع القضاة [٣] .

وقد ذكر ابن اياس "فى ترجمة للسلطان خوشقدم أن من " عيوبه كثرة المصادره إذ أنه قد صادر الصاحب علاء الدين بن الاهناسى حتى أنه فك رخام بيته ببركة الرطلى إلى تربته بالصحراء" [٤] . كما ذكر ابن الصيرفى أنه كان لعلى بن قمتى رأس نوبة الدوادار الكبير بيت ببركة الرطلى [٥] وكذلك ذكر "ابن اياس" أنه فى أيام السلطان قايتباى كان ينزل ضيوفه مثل أمير مكة فى بيت أم الناظر الخاص يوسف ببركة الرطلى وخصوصاً أيام امتلاء البركة بالماء [٦] .

وكذلك كان للمحتسب الزينى بركات بن موسى بيت على البركة [٧] وكانت البركة محاطة فى

= أوقافه "جميع البناثين الكائنين بظاهر القاهرة المحروسة خارج باب الشعرية بخط بركة الحاجب بدرب يعرف بالحاج سعد المشتمل على اصطبل ومقعد وبه ساقية كاملة العدة وله حدود أربعة الحد القبلى ينتهى إلى الزقاق وفيه بابه والحد البحرى ينتهى إلى اصطبل الحاج سعد والحد الشرقى ينتهى إلى دار زوجة جقمق والحد الغربى ينتهى إلى اصطبل خطاب .

والبناء الثانى يشتمل على قاعتين ومنافع وعلى رواق وطبقة ومنافع ومرافق وحقوق ولذلك حدود أربعة : الحد القبلى ينتهى إلى وقف الحاج سعد المذكور والحد البحرى ينتهى إلى (٠٠٠٠) والحد الشرقى ينتهى إلى البركة وفيه زريبة وطاقاته والحد الغربى ينتهى إلى الزقاق وفيه باب وطبقة من حقوقه" . انظر :

محمد الكحلاوى ، مدرسة الأمير عبدالغنى الفخرى ، ماجستير " غير منشورة" ، (كلية الآثار ، جامعة القاهرة، ١٩٨١م) ص ١٦٥ ــ ١٦٨ ، سطور الوثيقة ارقام من ١٦٨ حتى ١٧٤ ، ومن ١٨٦ ــ ١٩١ .

(١) العينى ، عقد الجمان ، (نشر الزهراء) ، ص ٣٠٣ .

(٢) السخاوى ، الضوء اللامع ، ص ٢١١ ، ابن ابى السرور البكرى ، النزهة الزهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة (مخطوط بدار الكتب) ، ص٧٥ .

(٣) ابن الصيرفى ، انباء الهصر ، ص١٥٩ ، السخاوى ، الضواء اللامع ، جـ٥ ، ص ٧ .

(٤) بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص٤٥٧ .

(٥) انباء الهصر ، ص ٤٣٨ .

(٦) بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٩٣ .

(٧) نفسه ، جـ ٤ ، ص ٢٧٤ .

بعض جهاتها بالبساتين المثمرة مثل بستان السلطان الملك الأشرف قانصوة الغورى [1] .

العمران حول البركة فى العصر العثمانى :

لما استولى العثمانيون على مصر فى محرم ٩٢٣هـ / ١٥١٧م استولوا على بيوت الأكابر التى على الجسر المطل على البركة ومنعوا مراكب البياعين من دخول البركة وكذلك منعوا المتفرجين من الدخول إلى الجسر [2] . وبعد ذلك قل الاهتمام بالسكنى هناك ، وفى أواخر القرن ١١هـ / ١٧م تخربت بيوت الجسر وصارت أرضه غيطاً لعم المؤرخ ابن ابى السرور البكرى وهو الشيخ الملقب بتاج العارفين الصديقى، وقد أنشأ فيه أنواع الاشجار والزهور وصار فيه بقية بهجة للنظار وبعض صبابة زمن النيل للمتفرجين [3] .

وأصبحت البركة فى العصر العثمانى بمثابة متنزهاً ومصيفاً أكثر منه للإقامة الدائمة حولها إذ كان الأمراء يتخذون من السكن على البركة فترات موسمية أيام فيضان النيل وامتلاء البركة إذ كان لمعظم الأمراء بيوت داخل القاهرة وكانت البركة مصيفاً لهم فقط [4] .

وكان للسادة البكرية بيت كبير يسمى الشاذروان يطل على البركة وبجواره جامع البكرية المسمى الجامع الأبيض [5] (رقم ٤١٨ فى المربع B-8 فى خريطة الحملة الفرنسية) ، وكان بجوارهما أيضاً

---

(١) ورد بكتاب وقف السلطان الغورى أن من أوقافه "جميع الابنية والانشاب القائمة بظاهر القاهرة المحروسة خارج بابى القوس والشعرية بظاهر بركة الرطلى بخط الفواخير ، وكان هذا البستان محاطاً بسياج ، وبه بئران مركب على أحدهما ساقية ، وبه دار دواب ومخزن وشونة للتبن وبه أشجار نخل وزيتون ورمان وكرم وليمون ونارنج ومشمش وموز ولوز وتمر حنة وياسمين وأصول بنفسج وسدر .

أما حدوده : فكان حدة القبلى ينتهى إلى مفترق الطرق المتوصل منها إلى باب درب الطباخ والفواخير وحدرة الفول، والحد البحرى ينتهى للطريق المسلوك الفاصل بين ذلك وبين غيط على بن خاص بك ، والحد الشرقى ينتهى إلى مجاز درب سعد وفيه باب الجنينة والحد الغربى ينتهى إلى الكوم المستطرق فيه إلى الفواخير وإلى درب الطباخ".

انظر : كتاب وقف الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف ، ص ١٤٠ ـ ١٤٢ ،

عوض الامام ، المرجع السابق ، ص ٢٢١ـ ٢٢٢ .

ـ ويتمثل موقع البستان الآن الجزء الأوسط من المربع ٧ فى خريطة القاهرة لآثار الاسلامية .

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ١٩٦ . ،

الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ٣٤٢ .

(٣) ابن ابى سرور البكرى ، النزهة الزهية ، ورقة ٧٣ .

(٤) اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعى ، ص ١٩٩ .

(٥) أنشأ هذا الجامع الذى كان من أصله زاوية صغيرة الشيخ أبو البقاء جلال الدين الصديقى وذلك سنة ٩٠٨هـ / ١٥٠٢ م وكان به قديماً مدفن سيدى مدين بن العارف بالله سيدى شعيب التلمسانى ، فأنشأ عليه قبة وجعل لنضه مدفناً بالقبة ملاصقاً لمدفن سيدى مدين ، وقد أوقف على الجامع أوقافاً عديدة ، وقد دفن فى قبته سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م وهذا الجامع اندثر الآن ولم يبق سوى القبة التى دفن بها جلال الدين البكرى بشارع البكرية المتفرع من شارع الظاهر . انظر :

أبى السرور البكرى ، النزهة الزهية ، ورقة ٣٢ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٤ ، ص ١٣٨

جنينة كبيرة تسمى جنينة الشيخ البكرى (٤١٣ المربع C-8) وقد وقع تجمع البكرية (برقم ٤١٤ فى المربع C-8) ، وكانت تلك المنشآت محصورة بين بركة الرطلى وبركة القرع .

وممن كان لهم أملاك على البركة ابراهيم افندى بن زين الدين جبريل كاتب قلم البهار فقد آل إليه بطريق الشراء عدة أماكن بخط بركة الرطلى ، كما إنشأ أيضاً على البركة قاعات وقصراً ومقعداً ومنظرة على الشاطىء الشرقى للبركة داخل درب مياله بحارة البكرية وألحق بعمارته جنينة كبيرة تضم الكثير من الأشجار المثمرة [١] .

وكان للأمير عثمان كتخدا مستحفظان القازدوغلى عمائر على الشاطىء الشرقى للبركة تضم قاعات سكنية ومرافق وجنينة [٢] .

وكان لعلى كتخدا مستحفظان الخربوطلى المتوفى ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م دور كبير فى الاعتناء ببركة الرطلى إذ أنه جدد جامعها فنسب إليه فى خريطة الحملة الفرنسية (رقم ٤١٧ المربع C-8) ، وكان الخربوطلى يقضى الصيف هناك فى موسم الفيضان ويقيم الاحتفالات الكبيرة [٣] .

ويذكر "الجبرتى" بركة الرطلى ويثنى عليها ويذكر بعض البيوت العظيمة التى كانت هناك أيامه منها دار الأمير حسن كتخدا الشعراوى وتابعه عمر جاويش وداره على سمته أيضاً ، ودار على كتخدا السابق ذكرها وكذلك دار قاضى البهار ودار سليمان أغا ودار الحموى ودور كانت جارية فى وقف عثمان كتخدا القازدوغلى وغيرها ، ويذكر "الجبرتى" أيضاً أنه سكن بها عدة سنين [٤] .

وقد تعرضت دور وبساتين بركة الرطلى للتخريب على أيدى الحملة الفرنسية فقد أزالوا الأبنية والغيطان والأشجار والتلول وقطعوا جانباً كبيراً من التل الكبير المجاور لقنطرة الحاجب وردموا فى طريقهم قطعة من خليج بركة الرطلى وقطعوا أشجار بستان كاتب البهار المقابل لجسر بركة الرطلى وأشجار الجسر أيضاً [٥] ، وكانوا قد حولوا جامع الظاهر إلى حصن سموه حصن سولكوفسكى ، فسموا الطريق الموازى للبركة من شمالها باسم طريق حصن سولكوفسكى [٦] .

ولكن بعد جلاء الفرنسيين عاد العمران مرة أخرى إلى البركة ففى سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م أنشأ السيد محمد المحروقى داراً وبستاناً كبيراً محل الأماكن التى تخربت ، وكذلك فعل كتابه عمر الحسينى ، كما أنه قام بتجديد جامع البركة (الحريشى) وتتابع التعمير هناك بعد ذلك [٧] .

(١) كتاب الوقف رقم ٩٢٨ أوقاف المؤرخ بسنة ١١٣٩هـ ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٤ .
(٢) كتاب الوقف رقم ٢٢١٥ أوقاف ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .
(٣) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ١ ، ص ٣٩٦ .
(٤) نفسه ، جـ ٣ ، ص ٥٨٦ .
(٥) نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ .
(٦) وقع هذا الطريق برقم ٤٣٥ فى المربع A-9 فى خريطة الحملة .
(٧) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٣ ، ص ٥٨٧ ـ ٥٨٨ .

وقد تم ردم البركة فى أيام نظارة على باشا مبارك للأشغال فى فترة حكم الخديوى اسماعيل [١]. وأصبح موضعها جزءاً من حى الظاهر .

بركـــة القـــرع

لم يذكر المقريزى هذه البركة ، وهى بركة صغيرة قد لا تزيد مساحتها عن ثلاثة أفدنة حفرها الأمير بكتمر الحاجب بعد اعتنائه ببركة الرطلى [٢] ، وهى غير مسجلة بخريطة الحملة الفرنسية إذ أن أرضها قد تحولت إلى مبان .

وكانت البركة تقع جنوب شرق بركة الرطلى محصورة بين جامع الدشطوطى (أثر رقم ١٢) بباب الشعرية جنوباً وبين جامع البكرية (جامع الأبيض) شمالاً ، وكانت تستمد ماؤها من الخليج الحاكمى [٣] .

وقد أورد "ابن اياس" ذكرها فى كلامه عن افتتاح جامع عبدالقادر الدشطوطى فى حوادث شهر ربيع الأول سنة ٩١٢هـ / ١٥٠٦م وقد دخلتها المراكب للتنزهة بهذه المناسبة وصارت المراكب تدخلها كل سنة من يومئذ [٤] ، واستمرت مكاناً للتنزه والاحتفالات والاستعراضات بها بعد ذلك [٥] .

وصارت البركة متنزهاً هاماً فى العصر العثمانى لمجاورتها للسادة البكرية [٦] .

بركة جناق

قال " المقريزى" عن هذه البركة" هذه البركة خارج بـاب الفتوح ، كانت بالقرب من منظرة باب الفتوح [٧] ، وكان ما حولها بساتين ، ولم يكن خارج باب الفتوح شىء من هذه الأبنية وإنما كان هناك بساتين فكانت هذه البركة فيما بين الخليج الكبير وبستان ابن صيرم ، فلما حكر بستان ابن

---

(١) الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ٢٦٤ .
Clerget M., Le Caire, I, P. 191.

(٢) ابن ابى سرور البكرى النزهة الزهية ، ورقة ٨٠ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ١٩٧ .

(٤) نفسه .

(٥) نفسه ، جـ ٥ ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

(٦) ابن ابى السرور البكرى ، قطف الازهار ، ورقة ١٥٦ ، النزهة الزهية ، ورقة ٢٥ ، ورقة ٨٠

(٧) كانت هذه المنظرة معدة لجلوس الخلفاء الفاطميين فيها عند عرض العساكر ووداعها إذا سارت فى البر إلى الشام خارجة من باب الفتوح حيث كانت تمر بهذا الطريق ، وكانت المنظرة تشرف على بساتين حل محلها الآن حى العباسية وحى الظاهر بالقاهرة . انظر :
المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٤٨١ . ولمزيد من التفاصيل عن المناظر انظر ما يلى ص ٣٨٣ .

صيرم [١] وعمر مكانه الآدر وغيرها وعمر الناس خارج باب الفتوح عمر ما حول هذه البركة بالدور وسكنها الناس وهى إلى الآن عامرة وتعرف ببركة جناق* [٢]

وأقول أن هذه البركة ظل جزء منها باقياً إلى نهاية القرن الماضى ، وقد وقعت فى خريطة الحملة الفرنسية تحت رقم ٣٨٧ فى المربع D-7 ، وهى صغيرة الحجم ومساحتها حوالى فدانين وكانت تحيط بها المبانى من جميع الجهات .

وقد ذكر * على مبارك* أن هذه البركة كان جزء منها لا يزال موجوداً أيامه وأن الماء كان يصل إليها من سرداب بينها وبين الخليج الكبير ، وقد عرفت ببركة درب عجور [٣] . أما أسمها فى الوثائق العثمانية فكانت بركة جمق . [٤]

وموقع البركة الآن جزء من حى الحسينية شمال القاهرة فى منطقة يخترقها شارع الجيش فيما بينه وبين شارع الزعفرانى* ((أى الجزء الغربى للمربع ٢ ح من خريطة القاهرة للآثار الاسلامية لوحة ١) ، ولا يزال درب عجور الذى كان على البركة معروفاً بهذا الاسم للآن ، وكذلك درب آخر يعرف بدرب البركة متفرعين من يمين شارع البنهاوى بالحسينية .

العمارة حول البركة فى العصرين المملوكى والعثمانى :

فى العصر المملوكى كانت هذه البركة عامرة بالدور والبيوت وكانت ملكاً للأمراء و الأعيان

---

(١) كان ما خارج باب الفتوح براحاً وأرض فضاء فانشأ زمام القصر الفاطمى المختار الصقلبى بستاناً وبنى فيه منظرة عظيمة ، فلما زالت الدولة الفاطمية استولى عليه الأمير جمال الدين سويح بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل الأيوبى فعرف به ، ثم اختط وصار من أجل الأخطاط عمارة فسكنه الأمراء والأعيان من الجند ، وكان فى زمن المقريزى ايل إلى الادثار إلا أنه عمر بعد ذلك .

* ومحله الآن بحى الحسينية المنطقة التى يخترقها شارع الحسينية من أمام باب الفتوح والمحدود من الجنوب بشارع البنهاوى ومن الشرق بشارع درب السماكين . انظر :

المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٠٣٦ ، على مبارك ، الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ١١٨ .

* وقد اطلقت مصلحة التنظيم اسم شارع بستان صيرم على أحد الشوارع بالمنطقة فى مقابل مدرسة خليل أغا غربى شارع الجيش .

(٢)الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ .

(٣) الخطط التوفيقية ، جـ ٣ ، ص ١١٨ .

(٤) ورد بوثيقة الأمير عبدالرحمن كتخدا رقم ٩٤٣ ، ٩٤٤ أوقاف أنه كان له رباع سكنية بدرب ابن موسى المعروف بدرب ابن عجور كانت مطلة على بركة جمق . انظر أيضاً :

أمل المصرى ، حى الحسينية فى العصرين المملوكى والعثمانى ، ماجستير *غير منشورة* ، (كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٠) ، ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، سطور من ١٠٠ ـ ١٠٥ من الوثيقة .

والعلماء ، وقد وصف المؤرخ السخاوى أحد البيوت بالبركة بأنه "بيت هائل" [١] كما أن المؤرخ السخاوى نفسه كان يسكن ببركة جناق [٢] .

وفى العصر العثمانى استمر سكن شيوخ العلم ببركة جناق ومن هؤلاء العالم الفقيه حسن الكفراوى المتوفى سنة ١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م الذى التف حوله أهل الحسينية وكان زعيماً لهم [٣] ، وكذلك الشيخ محمد الدواخلى المتوفى سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م [٤] .

وفى زمن الحملة الفرنسية أثناء ثورة القاهرة ضدها سنة ١٢١٤هـ تخربت أجزاء كثيرة من القاهرة، فقد عم "الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والخروبى فهدموا تلك الأخطاط والجهات والحارات والدروب والحمامات والمساجد والمزارات والزوايا والتكايا وبركة جناق وما بها من الدور والقصور المزخرفة" [٥] .

ولكن أعقب تلك الأزمة التعمير مرة أخرى فى عهد محمد على واستمر حى الحسينية عامراً وردمت البركة وبنى موضعها فى مطلع هذا القرن .

بركة قراجا

قال المقريزى عنها "هذه البركة خارج الحسينية قريباً من الخندق [٦] ، عرفت بالأمير زين الدين قراجا التركمانى أحد أمراء مصر أنعم عليه السلطان الملك ناصر محمد بن قلاوون بالأمره فى سنة سبع عشر وسبعمائة " [٧] .

---

(١) ذكر السخاوى أن العالم على بن الطنباوى الذى توفى عاشر ربيع الأول سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م : "اشترى له بيتاً هائلاً ببركة جناق" ، انظر : الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ٢٨٧ .

(٢) قال "السخاوى" فى ترجمته لخديجة بنت الشرقى المتوفاة فى أواخر المحرم سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٨م" إنها جارتنا فى بركة جناق" نفس المصدر ، جـ ١٢ ، ص ٣٣ .

(٣) الجبرتى ، عجائب الآثار ، جـ ٢ ، ص ٦١ .

(٤) نفسه ، جـ ٣ ، ص ٥٩٠ .

(٥) نفسه ، جـ ٢ ، ص ٤٣٢ .

(٦) الخندق : قرية قديمة كانت تعرف أولاً بمنية الأصبغ نسبة للاصبغ بن عبدالعزيز بن مروان وعندما حفر جوهر الصقلى خندقاً شمال القاهرة لمنع القرامطة من غزو القاهرة كان هذا الخندق يمر بجوار هذه القرية فسميت القرية باسم الخندق .

* ومكان الخندق الآن المنطقة حول دير الملاك البحرى وما جاورها من منطقة حدائق القبة أى فى المنطقة الدمرداش حالياً . انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ ـ ١٣٨ .

محمد رمزى ، القاموس الجغرافى ، القسم الأول ، ص ٥٦ ـ ٥٧ .

(٧) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ .

يتبين لنا مما ذكره المقريزى أن هذه البركة كانت بين الحسينية والخندق (الدمرداش حالياً) ، وهى التى قصدها المؤرخ ابن اياس بقوله "أن الأمير خاير بك من حديد أنشأ بجامع قيدان الذى بقناطر الأوز جوسقا (كوشكاً) مطلاً على البركة التى هناك" . (١)

وجامع قيدان هذا ذكره المقريزى فقال عنه "هذا الجامع خارج القاهرة (٢) على جانب الخليج الشرقى ظاهر باب الفتوح مما يلى قناطر الأوز تجاه أرض البعل" (٣)

وقناطر الأوز هذه موقعة على خريطة الحملة الفرنسية برقم ٣٩٤ فى المربع A-7 وموقعها الآن بشارع الخليج المصرى تجاه الحارة التى أسمتها مصلحة التنظيم خطأ حارة قنطرة الظاهر ، وجامع قيدان هذا قد اندثر وكان واقعاً بشارع قنطرة غمرة عند تلاقيه بشارع سعيد بخط السكاكينى بالقاهرة (٤)

وبناءاً على ما سبق فإن بركة قراجا هذه كانت تقع شرقى الخليج المصرى شمال حى الحسينية وشمال جامع الظاهر بيبرس فى المنطقة التى يشغلها الآن قصر السكاكينى وما حوله وهى على ذلك تمثل نفس البركة التى عرفت زمن الحملة الفرنسية بأسم بركة الشيخ قمر التى تقع شمال جامع الظاهر بيبرس وكانت البركة محاطة بالبساتين والحقول على خريطة الحملة الفرنسية (٥) . وقد عرفت البركة فى العصر العثمانى أيضاً باسم بركة المجاورين (٦) كما عرفت فى الوثائق العثمانية أيضاً باسم البركة الصغرى وأيضاً بركة بغل الكروش (٧) .

---

(١) بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١٧٦ ، محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٢٠٣ .

(٢) المقصود بخارج القاهرة أى خارج مدينة القاهرة المعزية المحاطة بأسوار ، أى فى ضواحيها .

(٣) الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣١٢ .

(٤) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ٢٠٣ .

(٥) بالنظر إلى خريطة الحملة الفرنسية للقاهرة وظواهرها نجد بركتين إحداهما تقع فى البر الشرقى للخليج شمال جامع الظاهر ، والأخرى تقع غربى الخليج مواجهة للبركة الأولى وهى تحمل رقم ٤٢٦ فى المربع A8 . وقد عرفت كلتا البركتان فى خريطتى الحملة باسم بركة الشيخ قمر ، ولكن التى نتحدث عنها أعلاه التى قصدها المقريزى هى البركة الواقعة شرق الخليج بالسكاكينى .
وقد وردت كلتا البركتان أيضاً فى خريطة بوكوك التى رسمها خلال زيارته لمصر سنة ١١٥٨ / ١٧٤٣م وقد سمى البركة التى نتحدث عنها باسم بركة على كايا شلبى Birk Ali Caia Gelphe وسمى الأخرى بركة القمر Birk el Omer ، ونلاحظ أن خريطة بوكوك هذه فيها خلط فعلى نفس الخريطة ايضاً جعل بركة الفيل مكان بركة الناصرية والعكس . (انظر خريطة بوكوك فى نهاية الرسالة)

(٦) ذكر أحمد شلبى أنه فى يوم العاشر من ذى الحجة سنة ١١٤٧هـ الذى هو يوم الأضحى هبت رياح عاصفة كان من تأثيرها "خلع الجميز الذى عند الشيخ قمر ببركة المجاورين" . اوضح الاشارات ، ص ٥٩٦ .

(٧) ورد بالوثيقة المحفوظة بأرشيف الشهر العقارى محكمة الباب العالى سجل ٨٥ ص ٣٧ ، ١٧٤ مايلى " وقف البركة الصغرى أو بركة بغل الكروش أو الشيخ قمر على ضريح قمر وسكان البركة والضريح بالقرب من غيط الطويل" .

بركة الحاج

تمتعت بركة الحاج [١] بأهمية كبيرة فى تاريخ مصر الاسلامية بحكم موقعها الأستراتيجي الهام بصفتها أول وآخر محطة للذاهبين والعائدين بطريق الحج والتجارة للحجاز والشام ، وكذلك كانت متنزها كبيراً ومضماراً للرياضة والصيد حتى نهاية العصر العثمانى ، وقد كانت متنزهاً للخلفاء والملوك والسلاطين والولاة طول التاريخ الاسلامى .

الموقـــع :

ذكر المقريزى أنها تقع فى الجهة البحرية من القاهرة على نحو بريد [٢] منها أى أنها تقع شمال القاهرة على مسافة ٢٢كم . وكانت هذه البركة زمن المماليك عبارة عن أرض منخفضة تملأ وقت الفيضان بماء النيل عن طريق الخليج الكبير ، وكانت مساحتها ٥٠٠ فدان وعبرتها ٣٠٠٠ دينار [٣] . وهى تتبع اليوم قسم المطرية من القاهرة [٤] ، وكانت من قبل قرية من قرى شين القناطر محافظة القليوبية [٥] .

التسميـــة :

عرفت هذه البركة بعدة أسماء منها جب عميرة أو أرض الجب أو بركة الجب أو البركة ، وكان العامة يطلقون عليها فى العصر المملوكى جب يوسف نسبة إلى سيدنا يوسف عليه السلام [٦] ، إلا أن الأسم الذى صار علماً عليها هو بركة الحاج لأنها كانت المحطة التى يتجمع فيها الحجاج المسافرون بطريق البر من القاهرة وعند عودتهم منها .

---

(١) للأستاذ الدكتورة آمال العمرى بحث بعنوان بركة الحاج خلال العصرين المملوكى والعثمانى * ، نشر بالقاهرة سنة ١٩٨٧م ، وقد رأيت أن أوجز فى الكلام عن هذه البركة لاستكمال موضوع الرسالة .

(٢) الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ .

* والبريد يساوى أربع فراسخ والفرسخ ٣ أميال والميل ٤٠٠٠ ذراع ، وبما أن الفرسخ يساوى ٥٤٤٤ متر فالبريد يساوى ٥٤٤٤ X ٤ = ٢٢١٧٦ متراً أى ٢٢,١٧٦ كم ! انظر : محمد ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية (طـ ٥ ، ١٩٨٥) ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ .

(٣) ابن الجيعان ، التحفة السنية ، ص ٦ .

(٤) آمال العمرى ، نفس المرجع ، ص ٨

(٥) محمد رمزى ، تعليقه على النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٨ ، القاموس الجغرافى ، ق ٢ جـ ١ ، ص ٣١ .

(٦) عن هذه الاسماء انظر : ابن ميسر ، اخبار مصر ، جـ ٢ ، ص١٣ .
ابن مماتى ، قوانين الدواوين ص ١١٠ ، ابن دقماق ، الانتصار ، جـ ٥ ، ص ٤٥ .
المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٤٨٩ ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ ، السلوك ، جـ ١ ، ص٤٥ .
ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، (ليدن ، ١٣٠٩ هـ) ، ص١٤٩ .

obeikandl.com

أهمية بركة الحاج والعمارة بها فى العصر المملوكى :

ازدهر شأن بركة الحاج فى العصر المملوكى ازدهاراً كبيراً ويمكن القول أنه قد ساعد على ذلك ازدياد أهمية الطريق البرى إلى سيناء فى العصر المملوكى بعد إخراج الصيليبيين من بلاد الشام وعودة استخدامه من جديد كطريق لقوافل الحج والتجارة ومن ثم ظهر اسم جديد له هو درب الحج أو الدرب السلطانى [١] .

وقد كانت بركة الحاج محطة الحاج وذويهم الذين كانوا يصحبونهم فى رحلة الذهاب والوصول إليها حيث كانوا يعسكرون ويستريحون ويتهيأون للسفر ويمكثون بها عدة ايام ، وكانت تقام بها الأسواق فى مواسم الحج [٢] لذلك فقد اهتمت به وبالطريق فى العصر المملوكى شجر الدر وذلك حين سلكت الطريق للحج سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م فأمرت باصلاح الطريق وحفر الآبار وبناء البرك على طريق الحج المصرى وبذلك أحيت شجر الدر هذا الطريق بعد أن فسد مرة من الزمن [٣] .

وكان لازدهار الطريق البرى للحج أثره الكبير فى زيادة أهمية طريق الصحراء الواقعة خارج باب النصر لأنه يسلك منها إلى بركة الحاج ومن ثم فقد حرص سلاطين وأمراء المماليك على بناء المنشآت المتنوعة سواء بالبركة أو على جانبى الطريق المؤدى إليها . [٤]

وقد أمر الناصر محمد بن قلاوون بعمل أحواش للخيل والجمال وميدان لنتاج الخيل ببركة الحاج وكانت بركة الحاج تربى وتنتج بها الخيول والاغنام حيث كانت مرتعا خصباً ونموها حتى ضرب بها المثل فقد قيل للكبش كبش بركاوى نسبة إلى هذه البركة . [٥]

ومما كان له الاهتمام بالبركة فى العصر المملوكى القاضى عبدالباسط [٦] ناظر الكسوة الشريفة فقد قام فى شوال سنة ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م بعمل بستان وساقية وفسقية ماء فى بركة الحاج برسم الحجاج

---

(١) آمال العمرى ، المرجع السابق ، ص ٩ .

وعن درب الحج انظر : احمد رمضان ، شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢٠٨ .

(٢) رحلة الفاسى ، ص ٩٨ .

(٣) أحمد رمضان ، نفسه ، ص ٢٠٦ .

(٤) محمد حمزة ، قرافة القاهرة فى عصر السلاطين المماليك ، ماجستير "مخطوطة" ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٧) ، ص ١٠٦ .

(٥) المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ١٦٤ .

(٦) هو القاضى عبدالباسط بن خليل ناظر الكسوة الشريفة وقد تولى عدة وظائف فى عهد المؤيد شيخ وبرسباى وقد توفى فى سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م ودفن بتربة بالصحراء وكانت فى الجهة الشمالية الغربية من منشآت كل من اينال وقرقاس بقرافة صحراء المماليك انظر :

السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٤ ، ص ٢٥ ، محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، حاشية ٣

وقد عـــم بـها النفـع هناك بالاضافة إلى تـخصيص مبلغ ٨٠٠٠ درهـم فى كل سنة لصـالح تلك المنشآت . [١]

وكذلك أنشأ الامير علان من طخ الاشرفى سبيلاً حسناً وحوضاً بطريق بركة الحاج [٢] وقد كان موضع هذا السبيل أمام قبة يشبك مباشرة على الجانب الشرقى من الطريق تجاه الصحراء وقد وقع هذا السبيل فى خريطة الحملة الفرنسية [٣] .

وكذلك أنشأ العارف بالله المتـبولى المتوفى ف ذى الحجة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م [٤] حوضاً وسـبيلاً وبستاناً بالبـركة فى أثناء سلطنة قايتبـاى ، وقد دفن بقبة بزاويته هناك ، ولا تزال هـذه القبة موجودة ملحقة بالركن الجنوبى من المسجد (الزاوية) وقد جددت فى سنة ١٠٢٨هـ / ١٦١٩م . [٥]

وقد اقيمت إلى جانب تـلك المنشآت الخانات [٦] والفنادق بسـبب القوافل حيث يستـريح التجار ودوابهم ، وكان يوجد بـها خان بركة الحاج [٧] هذا ولم يتبق من تلك المنـشآت أى اثر يعود للعصر المملوكى . [٨]

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٢ ، ص ١٠١ .
سامى نوار ، الاعمال المعمارية للقاضى عبدالباسط ، ماجستير ، غير منشورة *جامعة اسيوط ، ١٩٨٠) ، ص ٤٩ ، ٨٨ .

(٢) هو الامير علان الأشقر بن طخ أمير عشيرة وأحد رؤوس النوب، توفى فى جمادى الاولى سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م .
السخاوى ، الضوء اللامع ، جـ ٥ ، ص ١٥٠ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ .

(٣) محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص ٢٧٥ ، حاشية ٢ .

(٤) هو العارف بالله سيدى ابراهيم بن على بن عمر المتولى ، وكان ديناً خيراً وكانت شفاعته عند السلطان والامراء لا ترد ، وكان يأوى إليه الفقراء والمنقطعين وكان نادرة عصره وصوفى وقته . انظر : ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٣ ، ص ٨٨ .
الشعرانى ، لواقح الانوار فى طبقات الاخيار ، المعروف بالطبقات الكبرى ، جـ ٢ ، ص ٩٢ ، ٩٦
* وقد ذكر الشعرانى أن تاريخ وفاة المتولى نيف وثمانين وثمانمائة ولكن الصحيح ما ذكره ابن اياس من أنه توفى سنة ٨٧٧هـ .

(٥) عن مسجد المتولى ، انظر :
سعاد ماهر ، مساجد مصر ، جـ ٢ ، ص٤٩ ـ ٥٤ .
آمال العمرى ، المرجع السابق ، ص ٢٠ ـ ٢٦ .

(٦) الخان كلمة فارسية معناها نزل أو سوق ، وقد استخدمت منذ اقدم العصور لايواء المسافرين ودوابهم وبضائعهم ، وكانت الخانات تبنى داخل المدن وخارجها بل نجد أن اغلب الخانات كانت تبنى خارج المدن على الطرق التجارية وكذلك فقد اقتضى الامر أن تدعم تلك الخانات بابراج للمراقبة منعاً للاعتداء عليها . انظر:
آمال العمرى ، المنشآت التجارية فى القاهرة فى العصر المملوكى ، دكتوراه * غير منشورة* (جامعة القاهرة ، ١٩٧٤) ص ١٤٦ .
اضواء على المنشآت التجارية فى مصر المملوكية: الكتاب الذهبى ، جـ ٢ ، عدد خاص من مجلة كلية الآثار ، القاهرة ، سنة ١٩٧٨م ، ص ٦٨ .

(٧) نعيم زكى ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٢٩٤ .

(٨) آمال العمرى ، بركة الحاج ، ص ١١ .

العمارة ببركة الحاج فى العصر العثمانى :

ظلت بركة الحاج وضع اهتمام من قبل أمراء مصر خلال العصر العثمانى لما تتمتع به من أهمية استراتيجية ، ومن هؤلاء دواد باشا (٩٤٥- ٩٥٦هـ) [١] الذى أنشأ بها بابا وخانا وبستانا وسبيلا وفسقية وحوضاً كبيراً يشتمل على محراب للصلاة ودواوين لجلوس المسافرين للاستراحة فى ضمن عمارة مشرفة يراها المسافر ، وقد تمت هذه الأعمال فى سنة نيف وخمسين وتسعمائة . [٢]

كذلك قام الامير ذو الفقار بك بانشاء قصر وحوض وبستان وغيط زرع فيه خمسة آلاف نخلة وكان بناء الحوض فيما بين ١١٣٩ إلى سنة ١١٤١هـ / ١٧٢٦- ١٧٢٨م [٣]

وكذلك كان الولاة العثمانيون القادمون إلى القاهرة فى النصف الثانى من القرن ٢١هـ / ٨١م يتوقفون عند بركة الحاج ، لذلك كان لكل منهم قصر أو حديقة هناك . [٤]

---

(١) هو دواود باشا الخادم قدم إلى مصر فى ١٧ محرم ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م وظل والياً عليها لمدة طويلة استمرت ١١ سنة وهذه المدة قلما حدثت فى العصر العثمانى واستمر والياً إلى أن مات فى ربيع الاول سنة ٩٥٦هـ / ١٥٤٩م . انظر : احمد شلبى ، اوضح الاشارات ، ص ١٠٩ - ١١٠ ، آمال العمرى ، دراسات فى وثائق داود باشا والى مصر ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

(٢) بن عبدالقادر ، دور الفرائد المنتظمة فى اخبار الحاج وطريق مكة المكرمة ، ص ٤٧٩ ، عن د . آمال ، ص ١٢ .

(٣) احمد شلبى ، المصدر نفسه ، ص ٥٥٩ ، على مبارك ، جـ ٩ ، ص ١٧ . عن هذه الاعمال بالتفصيل ، انظر : آمال العمرى ، المرجع السابق ، ص ١٠٢ - ١٠٧ .

(٤) عبدالوهاب بكر ، الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن ١٨م ، دار المعارف ١٩٨٢م ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

obeikandl.com